روايات
عالمية
للفتيان

متاعب صوفي

تأليف: الكونتيسية دي سيغور

رجمة: الياس الحداد



متاعب صوفي
تأليف الكونتيسة دي سيغور
الطبعة الاولى ١٩٨٩

الناشر: وزارة الثقافة والاعلام ـ دار ثقافة الاطفال
العراق ـ بغداد ـ بريد ٨ شباط ص. ب ٨٠٤١

سلسلة روايات عالمية للفتيان

تصدر عن دار ثقافة الاطفال
المدير العام: فاروق سلوم
سكرتير تحرير السلسلة: فاروق يوسف

متاعب صوفي

تأليف

الكونتيسة دي سيغور

ترجمة

الياس الحداد

الفهرست

الفصل الاول

«دمية الشمع»



ذات يوم ، قالــت صوفـي وهـي تُسـرع إلـى غرفـة خادمتهـا : «أيتهـا الخـادمـة ! أيتهـا الخـادمة ! » . تعالي بسرعة وافتحي لي علبة أرسلها والدي من باريس . أظنها دمية من شمع ، فقد كان وعدني بواحدة . الخادمة : أين العلبة؟

صوفي :

إنها في غرفة الانتظار. أرجوك، يا خادمتي، تعالي بسرعة.

تركت الخادمة عملها وتبعت صوفي الى غرفة الانتظار، فوجدت علبة من خشب أبيض موضوعة على كرسي. وما أن فتحتها الخادمة حتى لمحت صوفي شعراً أشقر مجعداً لدمية جميلة من شمع.

فصرخت صرخة فرح، وحاولت أن تمسك الدمية التي كانت ما تزال مغطاة بورقة تغليف.

الخادمة :

احترسي. لا تشدّي فقد تكسرينها. إنها ما تزال مربوطة بالخيوط.

صوفي :

فكيها. إقطعي الخيوط بسرعة، أيتها الخادمة كي أحصل على دميتي.

وبدل أن تفك الخادمة الخيوط، تناولت مقصا وقطعتها، وانتزعت أوراق التغليف. فتمكنت صوفي من الحصول على أجمل دمية رأتها في حياتها. خدّاها ورديان، فيهما غمازات صغيرة. عيناها زرقاوان ولامعتان. عنقها من شمع وكذلك الصدر والذراعان.

وهي سمينة وفاتنة. لباسها بسيط جدا: فستان مطرز من قطن، وزنّار أزرق وجوارب قطنية وحذاء أسود من جلد لمّاع.

عانقتها صوفي أكثر من عشرين مرّة، ثم حملتها بين ذراعيها وراحت ترقص وتغني. فسمع صراخها بول آبن خالتها، فهرع إليها. كان عمره خمس سنوات. وكان مقيما عندهم في زيارة تدوم بضعة أيام.

فقالت له صوفي: أنظر يا (بول) ما أجمل الدمية التي أرسلها اليّ والدي.

بول:

أعطيني إيّاها لأشاهدها عن قرب.

صوفي:

لا. قد تكسرها.

بول:

اؤكّد لك بأني سأحرص عليها وسأعيدها إليك حالا.

ناولت صوفي الدمية لآبن خالتها وهي توصية مجددا كي يتيقّظ لئلاّ تقع من بين يديه. فراح بول يقلب الدمية ويراقبها من جميع الجهات. ثم أعادها الى صوفي وهو يهز رأسه.

صوفي :

لماذا تهزّ رأسك؟

بول :

لأن هذه الدمية ليست صلبة. وإنّي لأخشى أن تكسريها.

صوفي :

كن مطمئنا ! سأهتّم بها جدِا، جدا، ولن أكسرها أبدا! وسأطلب من أمي أن تدعو صديقتّي كميلة ومادلين لتناول الغداء عندنا كي يتسنى لي أن أريهما دميتي.

بول :

قد تكسرانها.

صوفي :

لا، إنهما أنزه من أن تكدراني بتكسير دميتي المسكينة.

وفي الصباح الباكر، سرّحت صوفي شعر دميتها، وألبستها ثيابها قبل أن تصل صديقاتها. وفي هذه الأثناء وجدتها صوفي شاحبة الوجه. فقالت في نفسها: لعلها بردت. قدماها مثلجتان. سأضعها قليلا في الشمس حتى اذا ما وصلت صديقتاي تريان أني أعتني بها وأهتم بتدفئتها.

وحملت صوفي دميتها الى الشمس ومددتها على نافذة البهو.

ـ ماذا تفعلين عند النافذة يا صوفي؟ سألتها أمها.

صوفي:

أريد أن أدفىء دميتي، يا أمي. إنها باردة جدا.

الام:

خذي حذرك، قد تذيبينها.

صوفي:

آه. لا يا أمي. لا خطر عليها: إنها صلبة كالخشب.

الام:

لكن الحرارة ترخيها. إنتبهي لئلا تحل بها مصيبة.

لم تكن صوفي تريد أن تصدق أمها. فمددت الدمية في الشمس المحرقة.

في تلك اللحظة سمعت هدير سيارة: وإذا بصديقتيها كميلة ومادلين تصلان. فسبقتهما الى البهو، وبقي بول ينتظرهما على مطلع الدرج. دخلتا البهو هرولةً وهما تتحدثان معا. ورغم تلهفهما الى رؤية الدمية، بادرتا السيدة (دي ريان)، والدة صوفي بالتحية. ثم توجهتا صوب صوفي التي كانت تحمل دميتها وتنظر إليها بذهول.

مادلين (وهي تنظر الى الدمية):
هذه الدمية عمياء. ليس لها عينان.
كميلة:
يا للأسف. كم هي جميلة.
مادلين:
لكن كيف أصبحت عمياء؟ كان يجب أن تكون لها عينان.
وصوفي كانت ساكتة، تنظر الى دميتها وتبكي.
السيدة (دي ريان):
لقد حذرتك، يا صوفي، من حصول مصيبة لدميتك فيما لو تشبثت بتعريضها للشمس. لحسن الحظ أن وجهها لم يذب وكذلك ذراعاها. لا بأس. لا تبكي، فأنا طبيبة ماهرة، وقد أستطيع أن أعيد اليها العينين.
صوفي، باكية:
مستحيل، يا ماما، لقد اختفت العينان.
أخذت السيدة (دي ريان) الدمية وهي تبتسم، وهزتها قليلا فسمع صوت شيء يتدحرج في رأسها. فقالت: إنهما العينان. وهما اللتان تصدران هذا الصوت. عندما ذاب الشمع حول العينين وقعتا. لكنني سأحاول إعادتهما. إنزعوا ثياب الدمية، يا أولادي،

بينما أحضر عدتي.

وفي الحال تهافت بول والفتيات الثلاث على الدمية لتعريتها. وكفت صوفي عن البكاء. كانت تنتظر بفارغ الصبر ما قد يحصل.

رجعت الأم، تناولت المقص، وفكت الجسم المخيط عند الصدر، فوقعت العينان اللتان كانتا في الرأس على ركبتيها. فتناولتهما بملقط وأعادتهما الى المحجرين. ولكي تمنع سقوطهما مجددا صبت في الرأس وعلى المحجرين شمعا ذائبا، كانت أعدته في قدر صغيرة، وانتظرت بضع دقائق كي يبرد الشمع، ثم أعادت خياطة الجسم بالرأس.

في هذا الوقت لم تأت الفتيات بأية حركة. وكانت صوفي تراقب خائفة كل هذه الأعمال. كانت تخشى ألا تتم العملية بنجاح. ولكن، عندما شاهدت دميتها مصلّحة، وجميلة كالسابق، قفزت الى عنق والدتها، وعانقتها عشر مرات وهي تقول:

«شكرا، يا والدتي العزيزة، شكرا. في المرّة القادمة سوف أسمع نصيحتك وأعمل بموجبها». ألبس الأولاد الدمية ثيابها بسرعة، وأجلسوها في مقعد صغير

بحجمها، وحملوها ظافرين في نزهة، وهم ينشدون:

ألا عشت أيا أمّي
لتحمينا من الهم
ألا دُمت لنا أمي
ملاكا يحرسُ البيت
مدى الأيام ياامي .

وعاشت الدمية عمرا طويلا، محاطة باهتمام وحبّ كبيرين. ثم أخذت تفقد سحرها شيئا فشيئا، كما سترون:

بما أن الأطفال يغتسلون، فقد فكّرت صوفي يوما أنه يستحسن غسل الدمى. فأخذت ماء وإسفنجة وصابونة وجعلت تغسل وجه دميتها. وبالغت في الغسيل حتى اختفت كل الوان الدمية. وأصبح خدّاها شاحبين وكذلك شفتاها، كأنها مريضة، واستمرّت هكذا بدون لون. فبكت صوفي، لكن الدمية ظلت شاحبة.

في يوم آخر، قرّرت صوفي أن تجعّد شعر الدمية. فلفّت شعرها على لفائف. ثمَّ حاولت كيّه بالمكواه كي يتجعّد الشعر جيدا. ولمّا نزعت اللفائف بقي الشعر ملتصقا بها. كانت المكواة حامية كثيرا، فأحرقت صوفي

شعر دميتها، وأصبحت الدمية صلعاء. وبكت صوفي لكن الدمية ظلت صلعاء.

وبالتالي كانت صوفي تهتم كثيرا بتربية دميتها، فحاولت يوما أن تعلمها الدوران بالقوة. فعلقتها بخيط في ذراعها ولم تحسن ربطه، فوقعت الدمية وكسرت ذراعا. حاولت والدتها أن تصلحها. ولمّا لم يكن عندها القطع اللازمة للتصليح، اضطرت الى إذابة كثير من الشمع، فبقيت الذراع المكسورة أقصر من الذراع الأخرى. فبكت صوفي ولكن الذراع بقيت على قصرها.

ومرّة أخرى فكرت صوفي في أن حمّاما لرجلي الدمية قد ينفعها كثيرا. أما يستحم الناس الكبار؟! فصبت مياها غالية في سطل صغير وغطّست فيه قدمي الدمية، فلما انتشلتها كانت القدمان قد ذابتا وبقيتا في المياه. فبكت صوفي، لكن الدمية بقيت دون ساقين.

وبعد هذه المتاعب كلّها، لم تعد صوفي تحبّ دميتها التي أصبحت دميمة، مما جعل صديقتيها تسخران منها.

وفي آخر مرّة أرادت صوفي أن تعلّم دميتها تسلّق الأشجار، فرفعتها الى غصن وأجلستها عليه. لكن

الدمية لم تكن متمسكة به جيدا ، فوقعت واصطدم رأسها بالحجارة وتكسر الى مئة قطعة . فلم تبك صوفي ، لكنها دعت صديقتيها لتحضرا دفن الدمية .

الفصل الثاني
«الدفن»



ذات صباح، وصلت كميلة ومادلين لدفن الدمية. كانتا مبتهجتين ولم يكن بول وصوفي أقل سعادة.

صوفي:

تعاليا بسرعة، يا صديقتيّ فنحن ننتظركما لصنع نعش الدمية.

كميلة :

لكن، مم سنصنعه؟

صوفي :

عندي علبة لعب عتيقة، غطتها خادمتي بقماش قطني رقيق لونه بلون الورد. إنها رائعة. تعالوا وانظروا.

أسرع الصغار الى السيدة (دي ريان) حيث كانت الخادمة قد أنهت صنع المخدة واللحاف اللذين سيوضعان في العلبة. أعجب الأطفال بهذا النعش الفاتن. فوضعوا فيه الدمية، ولكي يخففوا الرأس المكسر والرجلين الذائبتين والذراع المكسورة، غطوها بحرام وردي من الحرير.

مددت الدمية على محمل كانت الأم قد أوصت بصنعه لهم. وكانوا جميعا يريدون حمله. ولم يكن ذلك ممكنا، لأنه لا يتسع الا لأثنين فقط. وبعد أن تدافعوا قليلا وتنافسوا، قرّروا أن يحمله بول وصوفي لأنهما الأصغران، بينما كميلة ومادلين تسيران إحداهما وراء النعش والثانية أمامه، وكلّ منهما تحمل سلّة زهور وأوراق لنثرها على القبر.

عندما وصل الموكب الى حديقة صوفي، أنزل المحمل والعلبة التي تحتوي بقايا الدمية التعيسة. وبدأ

الأطفـال بحفـر اللحـد . ثم أنزلوا فيه العلبة . نثروا فوقها الـزهـور والأوراق وهـالـوا عليهـا التـراب الذي حفروه . ومهـدوا حولهـا الأرض وسـوّوهـا وزرعـوا شتلتي ليلك . وختمـوا الحفلة بأن ركضوا الى حوض الحديقة ، فملأوا مرشـاتهم الصغيرة بالماء وسقوا الليكتين . وكانت مناسبة لالعاب جديدة وضحكات جديدة . فقد بلّلوا سيقانهم ، وكانوا يتطاردون ويتملّصون وهم يصرخون ويضحكون . لم يشاهد مطلقا دفن أكثر بهجة . ذلك أن الفقيدة كانت دميـة عتيقـة بدون لون . لا شعر لها ولا ساقين ولا رأس . لا يحبهـا أحـد أو يأسف عليهـا . وانتهى النهـار مرحـا . وعنـدمـا همّت كميلة ومـادلين بالعـودة طلبتـا من بول وصـوفي أن يكسـرا دمية أخرى لتتسنى لهما فرصة إعادة هذا الدفن الممتع .

الفصل الثالث
« الكلس»



لم تكن صوفي الصغيرة مطيعة. فمنعتها أمّها من الذهاب وحيدة الى باحة المنزل حيث كان البنّاؤون يشيدون فناء للطيور من دجاج وطواويس وحبيشات. وكانت صوفي تحب مراقبة البنائين وهم يعملون. وعندما كانت أمها تذهب إلى هناك كانت تصحبها دائما معها،

لكنها كانت تأمرها بالبقاء قريبة منها. وصوفي التي كانت ترغب في الركض يمينا ويسارا، طلبت من أمها يوما قائلة:

«أمي ، لماذا لا تتركيني أذهب لمشاهدة البنائين بدونك؟ وعندما تكونين هناك، لماذا تطلبين اليّ المكوث بجانبك؟»

الام:

لأن البنائين يرمون قطع القرميد والحجارة التي قد تصيبك، فضلا عن أنَّ هناك رمالا وكلسا قد تزلقين عليها فتتأذين.

صوفي:

آه يا أمي! أولا سوف أتيقظ جيدا، ثم ان الرمل والكلس لا يسببان أذى.

الام:

أنت تعتقدين ذلك لأنك فتاة صغيرة. لكنني أنا الكبيرة، أعرف ان الكلس يحرق.

صوفي:

ولكن، يا أمي...

الام مقاطعة:

هيّا، لا داعي لهذه المناقشة واسكتي. أنا أعرف أكثر

منك ما يمكن أن يضرك أو ينفعك. لا أريدك أن تذهبي الى الباحة بدوني..

أحنت صوفي رأسها، ولم تتفوّه بكلمة. لكنها قطّبت جبينها وقالت في نفسها هامسة:

«على كل حال، سأذهب. هذا يسليني. سوف أذهب». ولم تنتظر طويلا كي تغتنم الفرصة لمخالفة الأوامر.

فبعد ساعة واحدة، حضر البستاني يبحث عن السيدة (دي ريان) لتختار بعض أزهار الغرنوقي* التي كان يعرضها للبيع. إذاً بقيت صوفي وحيدة. فتلفّتت صوب كل ناحية لتتأكد من عدم استطاعة الخادمة أن تراها، وكذلك الوصيفة. وعندما شعرت أنها وحيدة أسرعت الى الباب، فتحته وتوجهت الى الباحة. كان البناؤون منهمكين بالعمل ولا يفكّرون مطلقا في صوفي التي تتلهّى عادة بمراقبتهم والنظر الى كل شيء وتفحّصه. فألفت نفسها قرب حوض كبير مملوء بالكلس الأبيض السوي كالقشدة. فقالت في نفسها:

ما أجمل هذا الكلس وما أشد بياضه. لم أشاهده هكذا عن قرب من قبل. فأمّي لا تتركني أقترب منه

* (١) الغرنوقي أو إبرة الراعي: زهرة مختلفة الألوان.

أبـدا . . كم هو متمـاثـل وسويّ . يجب أن يكـون ناعما تحت الاقـدام وممتعـا . . . سأجتـاز الحـوض بالانزلاق على سطحه كما على الجليد . .

وحطّت صوفي رجلهـا على الكلس مفكـرة أنه صلب كالتـــراب . لكن رجلهـــا غاصت فيـه . ولكي تتحـاشى الــوقـوع حطّت رجلهـا الثـانيـة فغـاصت حتى منتصف ساقيهـا . فصـرخت . هرع اليهـا أحـد البنّـائين فانتشلها ووضعهـا على الأرض قائـلا : «انزعي حذاءك وجواربك بســـرعـة ، يا آنستي . . . لقـد أصبحت محتـرقـة . وإذا احتفظت بها فسوف يحرق الكلس ساقيك أيضا» .

نظـرت صوفي الى ساقيهـا . ورغم الكلس الذي كان ما يزال عالقـــا بهمـــا ، رأت أن حذاءهـــا وجـواربهـا قد أصبحت سوداء كمـا لو كانت خارجـة لتـوّهـا من النـار . فصـرخت ، ثم تعـالى صراخهـا عندما بدأت تشعر بوخز الكلس الـذي شرع يحـرق ساقيها . ولحسن الحظ ، لم تكن خادمتهـا بعيـــدة ، فركضت وشـاهـدت حقيقـة ما حصـل . فانتـزعت حذاء صوفي وجـواربها ومسحت لها قدميهـا والسـاقين بمئـزرها . ثم حملتها بين ذراعيها الى البيت . وفي الوقت الذي وصلت فيه صوفي الى غرفتها ، دخلت السيـدة (دي ريـان) لتـدفـع الى بائـع الأزهـار .

فسألت بقلق: ماذا حصل؟ هل تأذّيت يا صوفي؟ لم أنت حافية القدمين؟ وصوفي من خجلها، لم تجب. فقصّت الخادمة على الأمّ ما حصل. وكيف أنّ صوفي كادت تحرق ساقيها بالكلس. وأضافت: «لولم أكن موجودة بالقرب من الباحة، ولولم أصل في الوقت المناسب، لكان حلّ بساقيها ما حلّ بمئزرى. أنظري، يا سيدتي، كيف أن الكلس أحرقه. فهو مليء بالثقوب».

وبالفعل شاهدت السيدة (دي ريان) مئزر الخادمة وقد تشوّه. فالتفتت صوب صوفي، وقالت لها:

«حضرة الآنسة، كان يجب أن أجلدك بسبب معصيتك هذه. لكن الله تعالى قد عاقبك بالخوف الذي انتابك. وسيكون قصاصك الوحيد أن تعطيني قطعة الخمس فرنكات التي تحتفظين بها في محفظة نقودك للهو يوم عيد القرية وذلك كي أشتري بها مئزرا جديدا لخادمتك».

بكت صوفي دون جدوى، ورجت أن تخلى لها قطعة نقودها. لكن أمها أصرّت وأخذتها. فقالت صوفي في نفسها، وهي تبكي، إنها في مرة آتية سوف تسمع نصيحة والدتها، ولن تذهب حيث لا يجوز الذهاب.

الفصل الرابع
«الأسماك الصغيرة»



صوفي كانت طائشة. وكانت تقوم غالبا بأعمال سيئة دون أن تفكر فيها. واليكم ما حصل معها ذات يوم.

كان لوالدتها أسماك صغيرة ليست أطول من الدّبوس ولا أضخم من قصبة ريشة حمامة.

وكـــانت السيـدة (دي ريـان) تحب كثيـرا أسمـاكهـا الصغيـرة التي تعيش في حوض مليء بالميـاه وقـد وضع في قعـره رمـل لتستطيع الأسماك ان تغوص اليه وتختفي في الرمل.

وكـل صبـاح، كانت السيدة (دي ريان) تحمل فتات الخبـز لأسمـاكها الصغيرة. وكانت صوفي تتلهّى بمراقبة الأسماك وهي تتهافت على فتات الخبز وتتنازعه.

ذات يوم أهـداهـا والدها سكينا صغيرا جميلا مطعّما بالصـدف. وكـانت صوفي مغتبطـة بسكينهـا وتستخدمه لقطع الخبز والتفاح والبسكوت والازهار. .

وذات صبـاح كانت صوفي تلعب بآنيـة تدبيـر المنزل التي تخصها. وكانت الخادمة قد أعطتها خبزا قطّعته الى كســر صغيــرة، وحبــوب لوز وأوراق خسّ قطّعتهـا الى شرائـح. فطلبت من خادمتهـا زيتـا وخلًّا لتصنع سلطة. فأجابت الخادمة:

«لا، سأعطيك ملحا لكن دون الزيت والخلّ اللذين يمكنهما تلطيخ فستانك».

أخذت صوفي الملح ورشّت منه على السلطة. وبقي لهــا منـه الكثيـر. فقـالت في نفسهـا: لو كان عنـدي ما املّحـه. وأنـا لا استطيـع تمليـح الخبـز. فلابـد لي من

اللحم او السمك. آه إنها فكرة حسنة! سأملّح سمكات أمي الصغيرة. وسأقطع بعضها بسكيني الى شرائح. وسأملّح البعض الآخر. سألهو جيدا. فما أجمل ما سيكون هذا الطبق!

وهكذا دون أن تفكر صوفي بأنَّ أمهّا ستخسر سمكاتها الجميلة التي تحبها كثير، وبأن هذه الأسماك المسكينة سوف تتألم كثيرا عندما تملّح وهي حيّة أو عندما تقطّع الى شرائح.

خفّت صوفي الى البهو الصغير حيث كانت السمكات الصغيرة. اقتربت من الحوض واصطادتها جميعها، ثم وضعتها في صحفة من صحاف مطبخها وعادت الى طاولتها الصغيرة. أخذت بعض الأسماك المسكينة وسطّحتها في صحن. لكن الأسماك التي لم تكن مرتاحة خارج المياه. كانت تتحرك وتقفز ما تمكنت من ذلك سبيلا. ولكي تهدئها رشّت صوفي الملح على ظهر كل منها ورأسها وذيلها. فتجمدت الأسماك دون حراك. كانت المسكينات قد نفَقَت. وعندما امتلأ صحنها أخذت أسماكا أخرى وراحت تقطّعها اربا صغيرة. عند أوّل طعنة سكين تلوّت الأسماك التعيسة من الألم ميئوسا منها. وسرعان ما جمدت لأنها كانت

نفَقَت.

بعــد السمكــة الثـانيــة، لاحظت صوفي أنهـا تقتـل الأسمـاك وهي تقطّعهـا إربا. فنظرت بقلق إلى الأسماك المملحـة وعنـدمـا رأت أنها لا تتحرك، فحصتها بامعان ورأت أنها كلها قد نفقت. فاحمرّ وجه صوفي مثل حبة الكرز.

«ماذا ستقول أمي، قالت في نفسها. ماذا سيحل بي أنا السيئة الحظ! وكيف سأخفي هذا العمل؟».

فكـرت فتـرة ثم انفرجت أسارير وجهها. لقد وجدت وسيلة تجعل والدتها لا تلاحظ شيئا. فأسرعت وجمعت الأسمـاك المملحـة والمقطعـة كلهـا في صحن صغير، وخرجت بهدوء من الغرفة ثم أعادتها إلى الحوض، وقالت:

«سـوف تعتقد أمي أن الأسماك تصارعت فيما بينها، وتناهشت وقتل بعضها بعضا. سأغسل صحوني وسكيني وأخفي الملح. وخـادمتي لحسن الحـظ لم تلاحـظ أني جلبت الأسماك. إنها مهتمة بعملها وهي لا تفكر بي.»

دخـلت صوفي غرفتهـا بدون حركــة، وجلست إلى طاولتها وتابعت لعبتها في تحضير الطعام. وبعد قليل من الوقت نهضت فتناولت كتابا وراحت تتطلع إلى الصور.

لكنهــا كانت قلقــة . لم تكن تلاحــظ الصــور بل كانت تحسّ غالبا أنها تسمع وطء أقدام والدتها تقترب منها .

وفـجأة ارتـجـفت صوفي واحمــرّ وجههــا : سمعت والدتها تنادي الخدم . وسمعتها تتكلم عاليا كما لو كانت توبــخ . والخـدم يذهبـون ويجيئـون . وصـوفي ترتجف وتخشى أن تنـادي خادمتها أو ان تستدعيها الخادمة . ثم هدأ كل شيء ولم تعد تسمع شيئا .

وخـادمتهـا التي كانت فضـولية سمعت أيضا الضجة فتـركت شغلهـا وخـرجت تستطلع الخبر. ثم عادت بعد ربع ساعة وقالت لصوفي :

«يا لحسن حظنا، نحن الاثنين، أن نكون في غرفتنا ولم نبارحها! تصوّري أن أمّك ذهبت لتشاهد سمكاتها، فرأتهـا جميعها ميتة . بعضها سليم والبعض الآخر مقطع الى إرب . لقـد استـدعت جميـع الخـدم لتسألهم عمن يكـون الشـرير الذي قتل هذه المخلوقات الصغيرة . فلم يشأ أحد بل لم يستطع احد أن يقول شيئا . ولقد صادفتها متــوجّهــة الى هنــا . فسألتني عمــا إذا كنت ذهبت الى البهــو. ولحسن الحــظ استطعت أن أجيبهــا بأنّــك لم تتحركي من هنا، وبأنك كنت متلهّية بتحضير الطعام في مطبخك الصغير.

فقــالــت لي: هذا شيء مستغــرب، كنت أراهن ان صوفي هي التي ارتكبت هذا الفعـل المقيت. أجبتهـا: «لا يا سيدتي. فصوفي لا تستطيع أن تقوم بعمل مؤذٍ الى هذا الحد» . ـ حسنا، قالت والدتك، والا كنت عاقبتها بقسوة. ومن حسن حظها أنك لم تتركيها، وأنك تؤكدين لي أنهــا لا تستطيــع أن تقتــل أسمــاكي المسكينـة. فأجبتها: «أما بهذا الخصوص، سيدتي، فأنا جدّ واثقة» . .

وكــانت صوفي لا تقــول شيئــا. بقيت مسمّــرة في مكــانهــا، محمرّة الـوجـه، حانيـة الـرأس، وعينـاهـا مغــرورقتــان بالــدمـوع. رغبت لحظـة في أن تعتـرف لخادمتها أنها هي التي فعلت كل هذا، لكن الجرأة خانتها.

أمـا الخـادمـة التي رأت صوفي مغتمّة، فقد اعتقدت أن موت الأسمـاك الصغيـرة المسكينة هو الذي يحزنها. فقـالت لهـا: «كنت متيقنـة أنـك سوف تحـزنين كأمّـك للمـصيبــة التي حلّت بهــذه المخلوقــات الضعيفــة والمسكينة. لكن يجب أن نقرّ بأن هذه الأسماك لم تكن سعيدة في سجنها. أوليس الحوض سجنا بالنسبة إليها؟ أمـا الآن وقـد نفقت فلم تعد تتعذب. لا تفكري بها بعد

يوضع العشاء» . .

فتركتها صوفي تسرّح لها شعرها وتغسلها دون أن تتفوّه بكلمة ثم دخلت البهو حيث كانت أمّها .

«صوفي ! قالت الأم ، هل أخبرتك الخادمة ما حلّ بأسماكي الصغيرة؟» .

صوفي :

نعم ، يا أمي .

السيدة (دي ريان) :

لو لم تؤكد لي خادمتك أنك بقيت معها في غرفتك منذ ما تركتني ، لكنت ظننت أنك أنت التي موّتّها . جميع الخدم يقولون أن لا أحد منهم فعل ذلك . لكنني أظن أن الخادم (سيمون) الذي كان مكلفا بتغيير المياه والرمل في الحوض كل صباح ، أراد أن يتخلص من هذا الهمّ ، فقتل أسماكي المسكينة كي لا يظل يهتم بها . لذلك سوف أصرفه غدا . .

صوفي مرتعبة :

آه ! يا أمي ! هذا الرجل المسكين ! ماذا سيحلّ به هو وأمرأته وأولاده؟ .

السيدة (دي ريان):

إنـــه يستحق ذلـك! ما كان عليـه أن يقتـل أسمـاكي الصغيـرة التي لم تسيء إليه مطلقا، وأن يجعلها تتعذب بتقطيعها إربا إربا.

صوفي:

لكن. ليس هو الذي فعل ذلك يا أمّي! أؤكد لك أنه ليس هو الفاعل!

السيدة (دي ريان):

كيف تعرفين أنه ليس الفاعل؟ أنا أعتقد أنه هو وليس غيره، ومنذ صباح غد سوف أصرفه.

صوفي باكية وضامّة يديها:

آه! لا يا أمي، لا تفعلي ذلك، فأنا أخذت السمكات الصغيرة وقتلتها.

السيدة (دي ريان) مندهشة:

أنـت!... ما هذا الجنـــون! أنت التي كنت تحبين هذه الأسمـــاك الصغيـــرة! لا يمكن أن تكـوني جعلتهـا تتعذب وتموت! أرى جيدا أنك تقولين ذلك لتبرئي (سيمون).

صوفي:

بلى، يا أمـي، أؤكـد لك أنـي الـفـاعلة... أنـا

الفاعلة. لم أكن أقصد قتلها. كنت فقط أرغب في تمليحها، وكنت أعتقد أن الملح لا يضرّها. ولم أكن أعرف أن تقطيعها سوف يعذبها لأنها لم تكن تصرخ. ولكن، عندما وجدتها ميتة، أعدتها إلى حوضها دون أن تراني خادمتي أخرج من الغرفة أو اعود إليها. لأنها كانت منهمكة بالعمل..

مكثت السيدة (دي ريان) بضع لحظات مندهشة من اعتراف صوفي، فلم تجبها. رفعت صوفي عينيها بخجل ووجدت أمها محدقة بها دون غضب ولا قسوة. وأخيرا قالت السيدة (دي ريان):

«يا صوفي! لو أني عرفت صدفة، أي باذن الله تعالى الذي يعاقب الأشرار دائما، ما تخبريني إياه الآن لكنت عاقبتك بقسوة ودون شفقة. لكن الشعور النبيل الذي جعلك تعترفين بالخطأ لتبرّري (سيمون) يحملني على مسامحتك. لن أوبّخك لأني متيقنة أنك تشعرين الآن. كم كنت قاسية مع هذه الأسماك المسكينة بحيث لم تفكري أن الملح سوف يقتلها، ولم تفكري بالتالي أنه لا يمكن أن نقطع أو نقتل أي حيوان دون أن يتألم».

ولما شاهدت أن صوفي ما زالت تبكي، أضافت:

«لا تبكي، يا صوفي، واعلمي أن الاعتراف

بالأخطاء هو في الوقت ذاته طلب المغفرة».

فمسحت صوفي دموعها، وشكرت أمّها، لكنها ظلت طيلة النهار مغتمة قليلا لأنها سببت موت صديقاتها الأسماك الصغيرة.

الفصل الخامس

فرخ الدجاج الأس



كلّ صباح، كانت صوفي ترافق والدتها الى الخمّ الذي يحتوي دجاجا جميلا من مختلف الأنواع. وكان للسيدة (دي ريان) دجاجة تحضن بيضا سوف يفرخ فراخا رائعة ذات قنبرة. وكانت تصحب معها صوفي لترى إذا كانت الفراخ قد نقفت البيض وخرجت منه.

وكانت صوفي تجلب معها، في سلة صغيرة، خبزا تفتّه للدجاجات. فكلما وصلت، كانت الدجاجات والديوك كلها تركض إليها وتأخذ بالقفز حولها، فتنقر الخبز حتى من يديها ومن سلّتها. وكانت صوفي تضحك وتركض، والدجاجات تتبعها، وهذا ما كان يفرحها كثيرا.

في تلك الأثناء كانت أمها تدخل رواقا كبيرا وجميلا، فيه دجاجات تربى كالأميرات بل يعتنى بها أكثر بكثير من الأميرات. وكانت صوفي كلما فتّت خبزها ونفد، تلاقي أمها، لتراقب الفراخ الصغيرة تنقف قشرة البيضة وتخرج منها صغيرة جدا، وعاجزة عن الركض في الحقول. وذات صباح، دخلت صوفي الخم فشاهدت أمها تحمل فرخا رائعا ابن ساعته.

صوفي:

ما أجمل هذا الفرخ، يا أمي. إن ريشه أسود كريش الغراب.

السيدة (دي ريان):

أنظري أيضا إلى جمال قنبرة رأسه. سيكون فرخا رائعا.

أعادته السيدة (دي ريان) الى قرب الدجاجة الحاضنة. فما اقترب منها حتى نقدته نقدة قوية.

فصفعتهــا السيــدة (دي ريــان) على منقـارهـا ، وأوقفت الفـرخ الصغيـر الـذي وقع صائحا ، ثم قربته مجددا من الدجاجة اللعينة .

فنقـرت الـدجـاجـة الثائرة الفرخ المسكين نقرتين أو ثلاثـا . فحـاول الهـرب ، فلحقت به . فأسـرعت السيدة (دي ريـان) وأمسكت الفـرخ الـذي كادت أمـه أن تقتله بنقداتها المتتالية ، وسقته نقطة ماء لتنعشه ، وقالت :

ماذا سنفعـل بهـذا الفـرخ؟ من المستحيـل تركـه مع والدته الشريرة . ستقتله . إنه جميل جدا وإني أرغب في تربيته .

صوفي :

إسمعي ، يا أمي ، ضعيـــه في سلّة كبيـــرة في غرفـــة لعبي . سنطعمه ، وعندما يكبر نعيده الى الخمّ .

السيدة (دي ريان) :

أرى أنك على حق . احمليه في سلة الخبز ، ولنعد له مكانا ينام فيه .

صوفي :

أوه . أنظري يا أمي الى عنقه . إنه ينزف . وظهره ايضا .

السيدة (دي ريان):

إنها نقدات الدجاجه. عندما تعيدينه الى البيت، اطلبي من خادمتك مرهما وضعيه على جروحه. وبكل تأكيد، لم تكن صوفي مسرورة برؤية جروح الفرخ، لكنها كانت مبتهجة لأنها ستضع مرهما على جروحه. فسبقت أمها. وعرضت الفرخ على خادمتها، وطلبت مرهما ووضعت كمية كبيرة منه على كل مكان ينزف. ثم أعدت له عجّة بيض وخبزا وحليبا هرستها معا وخفقتها مدّة ساعة. لكن الفرخ كان يتألم وكان حزينا ولم يرغب في الأكل. شرب فقط ماء باردا عدة مرات.

خلال ثلاثة أيام، شفيت جروح الفرخ، وأخذ يتنزّه على درج مدخل الحديقة. وبعد شهر أصبح جماله ملفتا للنظر ويبدو اكبر من عمره. كان يبدو كأن عمره ثلاثة أشهر على الأقل. وكان لون ريشه نادرا جدا. فهو أسود ضارب إلى الزرقة، ناعم ولمّاع كأنه خارج لتوّه من المياه. وكانت تغطي رأسه قنبرة من ريش أسود، وبرتقالي، وازرق، واحمر، وأبيض. منقاره ورديّ، وقائمتاه ورديتان ونقلته مهيبة، وعيناه حادتان ولامعتان. لم يشاهد قط فرخ أجمل منه.

وصوفي تكفلت بالاعتناء به: هي التي كانت تأتيه

بالطعـــام، وهي التي كانت تحــرســه في نزهـاتـه أمـام المنـزل. وبعـد مضي بضعـة أيـام تقـررت إعـادته الى الخمّ، لأن رعــايتـــه أصبحت صعبـة. إذ كانت صوفي مضطرة بعض الأحيان أن تركض وراءه مدة نصف ساعة دون أن تتمكن من القبض عليـه. حتى إنـه ذات مرة كاد يغرق عندما رمى بنفسه في حوض مليء بالماء. لم ينتبه إليه، لأنه كان مسرعا ليتخلص من صوفي.

جرّبت صوفي أن تربطـه بشـريط في قدمه، لكنه ظل يتخبـط حتى اضطـرت إلى فك الـوثـاق خوف أن يكسـر ساقـه. عنـدئـذ منعتهـا أمهـا من تركه يخرج من الخمّ. وقـالت: «تـوجـد هنـا عقبـان كثيـرة يمكنها أن تخطفه. يجب اذا الانتظار حتى يكبر لكي يسمح له بالخروج».

لكن صوفي التي لم تكن مطيعـــة، استمـرت تتـركـه يخرج من الخم خفية عن والدتها. وذات يوم وقد كانت تعـرف أن أمها منهمكة بالكتابة، حملت الفرخ إلى أمام البيت. كان يتلهى في البحث عن الذباب والديدان في الـرمـل وبين الأعشاب. وكانت صوفي على مسافة بضع خطـوات منه تمشط شعر دميتها، وتراقبه باستمرار لتمنعه من الابتعـــاد. رفعت رأسهـا وتطلعت فانـدهشت: رأت طائـرا كبيـرا له منقـار معقـوف حاطّـا على مسـافة ثلاث

خطـوات من الفــرخ . كان ينظـر تارة إلى الفـرخ نظـرة افتــراس وطــورا إلى صوفي نظــرة خوف . والفــرخ لا يتحرك ، كان مقرفصا ويرتجف .

قالت صوفي :

ما أغرب هذا الطائر . إنه جميل ، لكن أي مظهر فريد هو مظهـره . عنـدمـا ينظر إلي يبدو خائفا وعندما ينظر إليّ الفرخ يتطلع بعينين غاضبتين . ها ، ها ، ها ، ما أغربه .

وفي اللحظة ذاتها ، أطلق الطائر صيحة افتراس تصم الاذان ، وانقض على الفـرخ الـذي صرخ صرخة نواح ، فقبض عليه بمخالبه ، خفق جناحيه ، حمله ، وطار به .

تسمّـرت صوفي مشدوهة . لكن والدتها التي ركضت لدى سمـاعهـا صوت الطـائر سألت صوفي عما حدث . فأخبـرتهـا صوفي أن طائرا حمل الفرخ وهي لا تفهم ماذا يعني ذلك . فقالت أمها :

«هـذا يعني أنـك فتـاة صغيرة عاصية وأن الطائر عقاب ، وأنـك تركت هذا الطـائـر اللعين يخطف فرخي الجميل ليقتله ويفتـرسـه . وأنك ستدخلين غرفتك حيث تتعشين وتنحبسين حتى المسـاء ، وذلـك كي تتعلمي أن تكـوني مطيعة في المرة الآتية . » .

أحنت صوفي رأسهـا وتـوجهت حزينـة إلى غرفتهـا .

تعشت حساء وطبق لحم حملتهما إليها خادمتها التي كانت تحبها والتي بكت عندما رأت صوفي تبكي. كانت صوفي تبكي فرخها المسكين الذي تحسّرت عليه طويلا.

الفصل السادس
«النحلة»



ذات يوم، كانت صوفي وبول آبن خالتها يلعبان في غرفتهما. كانا يتلهيان بالتقاط الذباب المتطاير على زجاج النافذة. وكلما التقطا ذبابة وضعاها في علبة صغيرة من ورق صنعها لهما والد صوفي.

عنـدمـا التقطـا عددا كبيرا، رغب بول في معرفة ماذا يفعل الذباب في العلبة، وكانت صوفي تحملها فقال لها:

«أعطيني العلبة، سنرى ماذا يفعل الذباب فيها».

فأعطتـه إياها. ففتح بول بكثير من العناية باب العلبة قليلا ثم وضع عينه على الفتحة، وصاح:

آه. يا للغـرابـة. كم تتحـرك هذه البعـوضـات إنهـا تتقاتل. هذه واحدة تنزع قائمة رفيقتها. والبقية غاضبة. أواه. كم تتقـاتـل. بعضها يقع ارضا. ها هي تنهض..

قالت صوفي:

ـ دعني أشاهد بدوري يا بول.

لم يجب بول، وتابع النظر في العلبة، وإخبار ما يرى.

نفـد صبر صوفي. فأمسكت زاوية من العلبة وجذبتها بهـدوء. فشـد بول صوبـه. غضبت صوفي وجذبتها بقوة أكبر. فشد بول بأقوى منها. فجذبت صوفي العلبة جذبة عنيفة فتمزقت، واندفع الذباب كله بسرعة إلى الخارج، وحـط على عيني وخـدي وأنف بول وصوفي اللذين راحا يذبانه عنهما بصفعات قوية ومتلاحقة.

قالت صوفي :

«هـذه غلطتـك يا بول، لوكنت أكثـر ليـاقة لأعطيتني العلبة ولما كنا فرقناها» .

ـ لا هذه غلطتـك أنت. لوكنت أقـل لجـاجـة لكنت انتظرت قليلا لكي أعطيك العلبة. ولكنا نحتفظ بها الآن.

صوفي :

أنت أناني، لا تفكر الا بنفسك.

بول :

وانت سريعة الغضب مثل ديوك حبش المزرعة.

صوفي :

أنا لست غاضبة أبدا، يا سيد. أرى فقط أنك مؤذٍ.

بول.

أنـا لست مؤذيـا، يا آنسـة. لكني فقـط أقـول لك الحقيقـة. ولهـذا السبب أنت محمـرّة من الغضب مثـل الديوك الرومية وعرفها الاحمر.

صوفي :

أنا لن العب مع صبي شرير مثلك يا حضرة السّيدة.

بول :

أنا أيضا لن ألعب مع فتاة شريرة مثلك، يا آنسة.

وحـــرد كل منهمـا في زاويـة . وسـرعـان ما ضجـرت صوفي ، لكنهـا كانت تحب ان تظهـر لبـول أنهـا تتسلى كثيـرا . فراحت تغّني وتلتقـط ذبـابا من جديد . ولكن لم يتوفر منه الكثير. وما تبقى ما عاد يسمح بالتقاطه . وفجأة شاهدت صوفي نحلة كبيرة حاطّة بهدوء في زاوية صغيرة من النـافـذة . وقـد كانت تعـرف أن النحـل يلسـع . فلم تحـاول القبض عليهـا بأصـابعهـا ، سحبت منـديلها من جيبهـا ، وحطّته على النحلة وقبضت عليها قبل أن يكون للمسكينة وقت للنجاة .

وبـول ، الـذي كان يتضجّـر من جهته ، شاهد صوفي تقـبض على الـنـحـلة . فسألهـــا : ماذا ستفعلين بهـــذه الحشرة ؟ .

صوفي بقسوة :

دعني لحالي يا شرير. هذا لا يعنيك .

بول بسخرية :

عفـوا ، آنستي الغـاضبة . أعتذر لأني تكلمت معك . فأنا نسيت أنك وقحة وأن تربيتك سيئة .

صوفي ، وهي تحيّيه بانحناءة ماكرة :

سأخبـر أمي ، يا سيـد ، أنـك تجـدني سيّئـة التربية . وبما أنها هي التي تربّيني ، ستسرّ بمعرفة ذلك .

بول بقلق :

لا يا صوفي . لا تقولي لها . سوف تؤنّبني .

صوفي :

بلى سأقـول لهـا . وإذا وبختـك يكون ذلك أفضل . فانَّ ذلك سيسرّني .

بول :

إذهبي ، يا مؤذية ، لن أتكلم معك بعد الآن .

وأدار بول كرسيـــه كي لا يرى صوفـي التـي كانـت مسـرورة لأنهـا أخـافته . فأخذت تهتم بنحلتها . أزاحت ببطء زاوية من زوايا المنديل ، عصرت من خلاله النحلة بين أصـابعهـا قليـلا لتمنعهـا من الافـلات وسحبت من جيبها سكينها الصغير . وقالت في نفسها :

سأقطـع رأسهـا لأعـاقبهـا على جميع اللسعات التي فعلتهـا في حيـاتها . وفعلا ، وضعت صوفي النحلة على الأرض وهي تمسكهـا دائمـا بالمنـديـل ، وبجـرّة سكّين قطعت رأسها ، ولأنها وجدت ذلك مسلّيا تابعت تقطيعها الى إرب .

كانت صوفي مأخوذة بالنحلة حتى إنها لم تسمع خطو أمها وهي تدخل عليها . ولما شاهدتها الأم راكعة وجامدة في مكـانهـا ، تقدمت بهدوء لترى ماذا تفعل . فشاهدتها

تقطع آخر قائمة للنحلة المسكينة .

فشدت السيدة (دي ريان) من سخطها على قساوة صوفي ، أذن ابنتها بقوة .

صرخت صوفي ، وقفزت واقفة ، وراحت ترتجف أمام أمها .

ـ أنت فتاة شريرة ، يا آنسة ، تعذبين هذه المخلوقة رغم ما قلته لك عندما ملّحت أسماكي الصغيرة المسكينة وقطعتها إربا . .

صوفي :

نسيت ، يا أمي ، أؤكد لك ، نسيت .

السيدة (دي ريان) :

سأجعلك تتذكرين ، يا آنسة ، أولا بأن أنتزع منك السكين الذي لن أعيده لك إلا بعد سنة ، ثم باجبارك على أن تعلقي في عنقك قطع النحلة منظومة في سلك إلى أن تتساقط غبارا .

وعبثا ترجّت صوفي والدتها ، وعبثا توسلت إليها أن لا تجبرها على حمل النحلة في عقد . . نادت الأم الخادمة وطلبت منها أن تحضر سلكا أسود شكّت فيه قطع النحلة وعلقته في عنق صوفي . لم يجرؤ بول أن يقول شيئا . كان منذهلا . وعندما صارت صوفي وحدها تبكي خجلة

من عقدها، حاول بول أن يؤاسيها بجميع الوسائل الممكنة: عانقها، اعتذر منها لأنه قال لها حماقات، وحاول أن يقنعها بأن ألوان النحلة الأصفر والبرتقالي والأزرق والأسود لها أثر في المشاهد. وهي تشبه عقدا من سبح وحجارة كريمة. فشكرت صوفي لطفه. وتعزّت قليلا بمودّة ابن خالتها لكنها ظلت مخجولة جدا من عقدها. وخلال اسبوع ظلت قطع النحلة متماسكة. ثم جاء يوم كان بول يلعب فيه مع صوفي فسحق قطع النحلة حتى لم يبق منها الا السلك. فأسرع يبلغ خالته. فسمحت له بنزع السلك الأسود. وهكذا تخلصت منه صوفي. ومنذ ذلك الحين لم تعذب ابدا أي حيوان.

الفصل السابع

«الشعر المبتّل»



صوفي كانت أنيقـة، تحب الاعتنـاء بهنـدامها لتظهر جميلة. غيـر أنهـا لم تكن جميلة. كان لهـا وجه عريض نديّ جدا، بهيج، وعينان رماديتان جميلتان جدا، وأنف مرتفـع وغليـظ نوعا، وفم واسع مستعدّ دائما للضحك، وشعـر أشقـر غيـر مجعّد، قصّته قصيرة كقصة الصبيان.

كانت تحب ان تتأنّق ولكن لباسها كان دائما غير مناسب: فستان أبيض من قطن رقيق مكشوف العنق بأكمام قصيرة صيفا وشتاء، وجوارب واسعة قليلا وحذاء من جلد أسود. لم تكن أبدا تعتمر قبّعة أو تلبس قفّازا. كانت أمها ترى من الانسب تعويدها على الشمس، والمطر، والريح، والبرد.

والذي كانت صوفي تتمناه كثيرا هو أن يكون شعرها مجعّدا. لقد سمعت يوما إشادة باحدى صديقاتها (كميلة دي فلورڤيل) لشعرها المجعد الجميل. ومنذ ذلك الحين راحت تحاول أن تجعّد شعرها. ومن جملة محاولاتها المحاولة التعيسة التالية:

ذات أصيل كانت السماء تمطر بغزارة والطقس حارا جدا، حتى أن نوافذ الواجهة وباب المدخل قد تركت مفتوحة. وكانت صوفي واقفة بالباب لأن والدتها منعتها من الخروج. فكانت تحاول من وقت لآخر مدّ يدها لتلقي المطر. ثم مدّت عنقها قليلا لتتلقى بضع نقاط على رأسها. وعندما أخرجت رأسها وجدت أن المزراب فائض وتتدفق منه نافورة من مياه الأمطار. وعندئذ تذكرت أن شعر كميلة كان يظهر أكثر تجعيدا كلما كان مبلولا. فقالت في نفسها:

«لو أبلّل شعري فلعله يتجعّد».

وهكذا رغم الامطار، خرجت صوفي ووضعت رأسها تحت المزراب لتتلقى بفرح كبير سيل المياه على رأسها وعنقها، وذراعيها وحتى ظهرها.

وعندما تبللت جيدا، دخلت البهو وراحت تجفّف شعرها بمنديلها وتعتني بلفّ شعرها كي يتجعد. فتبلل منديلها بلحظة. أسرعت صوفي إلى غرفتها لتطلب من خادمتها منديلا اخر فوجدت نفسها وجها لوجه أمام أمها. فتسمّرت صوفي في مكانها، مبلّلة، شعرها منقوش، وهي ترتجف رعبا. لأول وهلة تعجبت أمها ووجدت وجه صوفي مثيرا للسخرية، فانفجرت ضاحكة. وقالت:

من أين جاءتك هذه الفكرة الغريبة، يا آنسة؟ لو كنت ترين وجهك الآن لكنت تهزئين من نفسك كما أنا أفعل. لقد منعتك من الخروج. فعصيتني كالعادة. وقصاصا لك ستبقين للعشاء كما أنت: شعرك منتصب في الهواء وثيابك مبللة، كي يتسنّى لوالدك ولابن خالتك أن يشاهدا نوعا من ابتداعاتك الجميلة. وخذي هذا المنديل لتتمّي تنشيف وجهك وعنقك وذراعيك.

وما أن انتهت السيدة (دي ريان) من كلامها حتى

دخل بول مع السيد (دي ريان). فتوقفا كلاهما منذهلين أمام صوفي المسكينة وهي حمراء الوجه، خجولة، حزينة، ومثيرة للسخرية. وانفجر كلاهما بالضحك. وكلما احمر وجه صوفي وأحنت رأسها ازدادت اضطرابا وتعاسة، وازداد شعرها المشعث وثيابها المبللة إثارة للضحك. وأخيرا سأل السيد (دي ريان) عن مغزى هذه المسخرة، وعما إذا كانت صوفي متوجهة إلى حفلة الكرنفال يوم المرفع.

السيدة (دي ريان):

إنه ولا شك ابتداع ابتكرته صوفي لتجعيد شعرها. إنها حتما تريده أن يتجعد مثل شعر (كميلة) التي تبلله ليزداد تجعيدا. وقد فكرت صوفي بأنه سيحصل لشعرها الشيء ذاته.

السيدة (دي ريان):

هكذا يكون تكلف الأناقة! أردت أن تجملي هندامك فجعلت نفسك أضحوكة.

بول:

عزيزتي صوفي، إذهبي حالا وتجففي وسرّحي شعرك، وبدلي ثيابك. لو كنت تدركين كم أنت مثيرة للضحك، لما كنت تقبلين بالبقاء دقيقة واحدة كما

أنت .

السيدة (دي ريان) :

لا! سوف تتعشى وهي بهذه التسريحة المشعثة، وبهذا الثوب الملطخ بالوحل والمياه. .

بول، مقاطعا بشفقة :

لا يا خالتي، أرجوك، سامحيها، واسمحي لها أن تذهب لتسرّح شعرها وتغيّر ثيابها . إنها مسكينة، وهي تبدو تعيسة جدا!

السيدة (دي ريان) :

أنا من رأي بول، يا زوجتي العزيزة. وأني أسامحها لهذه المرة. فاذا كررت هذا العمل سيكون رأيي مختلفا .

صوفي ، باكية :

اؤكد لكِ يا أبي أني لن أعيد الكرّه .

السيدة (دي ريان) :

إكراما لوالدك، يا آنستي، أسمح لك بالتوجه إلى غرفتك وتبديل ثيابك . لكن لن تتعشى معنا على المائدة . ولن تعودي الى البهو إلا عندما نكون قد تركنا المائدة .

بول:

آه! يا خالتي! اسمحي لها..

السيدة (دي ريان):

لا، يا بول، لا تطلب شيئا اخر. ستفعل كما قلت لها. ثم نظرت الى صوفي: وأنت، انصرفي يا آنسة.

تعشّت صوفي في غرفتها بعد أن سُرّح شعرها وألبست ثيابها. وبعد العشاء عاد بول ليصحبها الى اللعب في البهو الصغير حيث كانت اللعب. ومنذ ذلك اليوم، لم تحاول صوفي أن تتعرض للمطر لتجعيد شعرها.

الفصل الثامن

«الجبان المقصوصان»



شيء آخر كانت صوفي تتمناه هو أن يكون حاجباها كثيفين جدا. قيل أمامها ذات يوم انّ الصغيرة (لويز دي برغ) قد تصير جميلة لو كان لها حاجبان. أما صوفي فقد كان لها حاجبان رقيقان، لونهما أشقر حتى أنهما لم يكونا ظاهرين كثيرا. وسمعت أيضا أنه من أجل تكثيف

الشعر وإطالته يجب قصّه غالبا.

وقفت صوفي يوماً أمام المرآة تتأمل في وجهها فوجدت أن حاجبيها رقيقان جدا. فقالت:

«طالما أن الشعر يتكثّف عندما يقص، وبما أن الحاجبين هما من الشعر القصير فيجب أن ينطبق عليهما الشيء ذاته. اذاً سأقصهما لينبتا أكثر كثافة.»

وأخذت صوفي المقص وقصّت حاجبيها أقصر ما أمكن. ونظرت إلى نفسها في المرآة فوجدت ان ذلك قد شوّه سحنتها ولم تعد تجسر على الدخول الى البهو.

فقالت: «سأنتظر حتى تحضر المائدة، فلن يفكر أحد في التطلع إليّ عندما يجلسون إلى المائدة».

لكن أمها التي لاحظت غيابها، أرسلت بول ابن خالتها ليبحث عنها. صاح بول وهو داخل: «صوفي! صوفي! هل أنت هنا؟ ماذا تفعلين؟ تعالي الى العشاء».

- «نعم، نعم، أنا آتية.» اجابت صوفي وهي تسير القهقرى حتى لا يلاحظ بول حاجبيها المقصوصين.

دفعت صوفي الباب ودخلت.

وما ان وطئت رجلها البهو حتى نظر إليها كل من في القاعة وانفجروا بالضحك.

قال السيد (دي ريان):

«ما هذه الهيئة؟

وقالت السيدة (دي ريان):

لقد قصّت حاجبيها.

وعلّق بول:

كم هي مضحكة! كم هي مضحكة!

وأضاف والدها السيد (دوبير):

إنّه لمدهش حقاً كيف أن حاجبيها المقصوصين قد بدّلاها!

وقالت السيدة (دوبير):

لم أر قطّ سحنة أكثر تفردا.

بقيت صوفي باسطة ذراعيها، وحانية رأسها لا تعرف أين تختبىء، حتى إنها فرحت نوعا عندما قالت لها أمها:

«إذهبي من هنا الى غرفتك، يا آنسة، أنت لا تفعلين إلا الحماقات. أخرجي ولا تريني وجهك هذه الليلة.»

انصرفت صوفي، وراحت خادمتها تضحك بدورها عندما شاهدت هذا لوجه الغليظ المحمّر بدون حاجبين.

ولم ينفع غضب صوفي لأن جميع الأشخاص الذين

كانـوا شاهـدوها ضحكوا ملء الرئتين ونصحوها أن تخط بالفحم حاجبين مكان حاجبيها.

وذات يوم، جلب لهـا بول صرّة صغيـرة مربـوطـة بالخيوط، ومختومة، وقال لها بخبث:

«عزيزتي صوفي، هذه هدية لك من والدي».

قالت صوفي، وهي تتناول الصرّة بعجلة: «ما هذه؟» وعنـدمـا فتحتهـا رأت أنها تحتوي على حاجبين غليظين أسودين وسميكين.

قال بول: «هذان لكي تلصقيهما في محلّهما الخالي».

احمرّ وجه صوفي غضبا، ورمتهما في وجه بول الذي توارى ضاحكا.

بقي حاجباها ستة أشهر حتى نبتا من جديد ولم يصيرا أبـدا بالكثـافـة التي كانت تتمنـاهـا صوفي، ومنـذ ذلك الوقت لم تعد صوفي تحاول أن تصنع لنفسها حاجبين جميلين.

الفصل التاسع
«طين الاحصنة»



صوفي كانت شرهـة. وأمهـا كانت تعرف أن كثرة الطعام مضـرّة بالصحة. لذلـك كانت تمنع صوفي من الأكل ما بين وجبات الطعام.

ويوميا بعد الغداء، أي الساعة الثانية بعد الظهر تقريبا، كانت السيدة (دي ريان) تحمل خبزا وملحا

لأحصنة السيد (دي ريان) الذي كان يملك أكثر من مائة حصان.

وكانت صوفي تلحق بأمها وهي تحمل سلّة مليئة بقطع الخبز الأسمر. فتتناول أمّها قطعة خبز عند كل مربط تدخل إليه. لكن والدتها كانت تنهاها بصرامة عن أن تاكل منه، لأن هذا الخبز الأسود غير مخبوز جيدا ويضرّ المعدة.

كانت جولة الأمّ تنتهي في إسطبل الخيول الضامرة. وصوفي كان لها فيه حصان خاص، قدمه إليها والدها. كان حصانا صغيرا أسود اللون، ليس اكبر من حمار صغير. وكان يسمح لها بأن تقدم له بنفسها خبزا. وغالبا ما كانت تقضم من الخبز قبل أن تقدمه لحصانها في مربطه.

وذات يوم كانت أكثر رغبة في هذا الخبز الأسمر من عادتها، فقبضت على قطعة الخبز بين أصابعها بشكل لا يسمح إلا بظهور كسرة صغيرة منه. وقالت في نفسها: «سيقضم الحصان ما يتجاوز أصابعي وآكل أنا الباقي».

وقدمت الخبز لحصانها الصغير الذي تناول الكسرة وفي الوقت ذاته طرف إصبع صوفي، وعضها بعنف لم تتجرّأ صوفي أن تصرخ، لكن الوجع أجبرها أن تفلت

الخبز فوقع على الأرض. عندئذ ترك الحصان الاصبع ليأكل الخبز.

سال الدم بغزارة من إصبع صوفي حتى بلغ الأرض. فتناولت منديلها ولفته على إصبعها وشدته، مما أوقف النزف، ولكن ليس قبل أن يتلطخ المنديل بالدم. فأخفت صوفي يدها الملفوفة تحت مريولها ولم تلاحظ أمّها شيئا.

ولكن عندما جلست العائلة الى المائدة للعشاء، كان على صوفي أن تظهر يدها التي لم تكن قد شفيت بعد، ولم يتوقف نزيف الدم تماما. فلما تناولت ملعقتها، والكأس والخبز لطّخت الغطاء. فلاحظت أمها ذلك. وسألتها:

«صوفي! ما بهما يداك؟ لقد امتلأ غطاء المائدة ببقع الدم حول صحنك».

لم تجب صوفي.

السيدة (دي ريان):

ألا تسمعين ما أسألك؟ من أين جاء الدم الذي لطخ الغطاء

صوفي:

أمي.. إنه.. إنه من إصبعي.

السيدة (دي ريان):

ما بها إصبعك؟ منذ متى أصيبت؟

صوفي:

منذ هذا الصباح. يا أمّي. وحصاني هو الذي عضني.

السيدة (دي ريان):

كيف أمكن هذا الحصان الوديع كالحمل أن يعضّك؟

صوفي:

عندما كنت أناوله خبزا، يا أمّي!

السيدة (دي ريان):

إذاً، وضعت الخبز في يدك ولم تبسطي كفك كما أوصيتك أكثر من مرة؟

صوفي:

أجل، يا أمّي. كنت أقبض على الخبز بين أصابعي.

السيدة (دي ريان):

بما أنك حمقاء، فلن تقدمي بعد الآن خبزا لحصانك..

امتنعت صوفي عن الاجابة. ظانة أنها ستحمل دائما السلة التي يوضع فيها خبز الأحصنة، وأمّها سوف تأخذ

منه قطعة من هنا وقطعة من هناك .

واذا في الصباح، كانت تلحق بأمّها في الاسطبلات، وتقدم لها قطع الخبز، فتناولت قطعة وخبأتها في جيبها ثم أكلتها خفية عن أمها .

وعندما وصلت الى آخر حصان لم يعد في السلة شيء لتقدمه له . وأكد السائس أنه وضع في السلة قطعا بعدد الأحصنة . فبينت له الوالدة أنه ينقص قطعة . وبينما هي تتكلم شاهدت صوفي ، فمها ملأن ، وهي تسرع لتبلع آخر لقمة من القطعة التي أخذتها . أسرعت صوفي لتبلع الخبز حتى دون أن تأخذ وقتها لمضغه ولكن دون جدوى ، فقد لاحظت أمها أنها تأكل وأن ما تأكله هو تماما القطعة الناقصة . كان الحصان ينتظر خبزه ويظهر تلهفه بحك الارض بحافره وهو يحمحم .

فقالت السيدة (دي ريان) :

«ايتها الشرهة الصغيرة . عندما لا أراقبك ، تسرقين خبز أحصنتي المسكينة وتعصينني ، بينما تعلمين كم مرّة منعتك أن تأكلي هذا الخبز . إذهبي إلى غرفتك ، يا آنسة . لن ترافقيني أبدا لاطعام الاحصنة ، ولن أرسل لك للعشاء إلا خبزا ، وحساء بالخبز ، طالما أنك تحبينه كثيرا . »

أحنت صوفي رأسها حزنا وتوجهت بخطى وئيدة الى البيت فغرفتها. فقالت لها خادمتها: «ماذا إذاً! ها أنت أيضا بوجه حزين؟ هل أنت معاقبة من جديد؟ أيّة حماقة جديدة ارتكبت؟

أجابت صوفي وهي تبكي: فقط، أكلت من خبز الأحصنة! أحبّه كثيرا. كانت السلة طافحة فظننت أن أمّي لن تلاحظ شيئا. ثم أضافت وهي تجهش بالبكاء: لن أحصل للعشاء إلا على حساء وخبز حاف.

نظرت إليها الخادمة بشفقة وتنهّدت. كانت تدلل صوفي، وتجد أن والدتها تقسو عليها بعض الأحيان، فتحاول أن تعزيها وتجعل قصاصاتها أقل قساوة. لذلك، عندما جلب أحد الخدم الحساء وقطعة الخبز، وكأس الماء التي تؤلف عشاء صوفي، أخذتها الخادمة بتبرم، وضعتها على طاولة، وذهبت ففتحت خزانة وتناولت منها قطعة جبن كبيرة، ومرطبات مربى، ثم قالت لصوفي:

«خذي، كلي أولا الجبنة مع الخبز، ثم المربى» وعندما رأت أن صوفي مترددة، أضافت:

« لا ترسل لك أمك سوى خبز حاف، لكنها لم تمنعني من أن أضع فيه إداما».

صوفي :

ولكن، عندما ستسألني أمي إذا أكلت شيئا مع خبزي، فيجب أن أخبرها. فماذا أقول اذاً؟

الخادمة :

عندئذ، ستقولين إني أعطيتك جبنا ومربى وإني أمرتك بأكله، وسأهتم بأن أشرح لها أني لم أرغب في تركك تأكلين خبزك حافا لأنه لا يفيد المعدة مطلقا، وأنه حتى المساجين يقدم لهم شيء آخر مع الخبز.

كانت الخادمة تسيء كثيرا الى صوفي عندما تنصحها بأن تأكل خفية عن أمها ما تكون الأم قد حظرته عليها. لكن صوفي، التي كانت طفلة وكانت تشتهي الجبن الذي تحبه كثيرا، والمربى الذي تحبه أكثر، أطاعت خادمتها بكل سرور وتعشّت عشاء ممتازا. وبدلا من الحلوى، قدمت لها خادمتها كأس ماء ممزوج بقليل من السكر، راحت صوفي تبلل فيه ما تبقى لها من خبز.

وأضافت الخادمة :

«هل تعرفين ما يجب عمله مرة أخرى، عندما تعاقبين أو يكون لك رغبة في الأكل؟ تعالي إلي وأخبريني. سأجد شيئا طيبا أقدمه لك ويكون أفضل بكثير من هذا الخبز الأسود السيىء الذي يقدم للأحصنة والكلاب».

عاهدت صوفي خادمتها بأنها لن تنسى توصيتها كلما
اشتهت أن تأكل شيئا طيبا .

الفصل العاشر
دة والخبز الساخن»



صوفي كانت شرهة، قلت ذلك سابقا، لم تنس إذاً ما وصتها به خادمتها. ذات يوم كانت تعلم أن المزارعة سوف تجلب شيئا طيبا لخادمتها، فاقتصدت في طعام لغداء، وقالت للخادمة إنها جائعة، فأجابت الخادمة:
«لا بأس! يا للصدفة الجيدة: لقد أهدتني المزارعة

لتوّهـا إبـريقا من القشدة وخبزا أسمر طازجا. سأطعمك منها. وسترين كم هي طيبة».

وجلبت إلى الطـاولـة خبـزا ساخنا، ووعاء مليئا قشدة سميكـة ممتـازة. فانصبّت عليهـا صوفي كالمتضـوّرة جوعـا. وعنـدمـا كانت الخـادمـة تنصحها بألاّ تأكل منه كثيـرا، سمعت صوت والـدة صوفي ينـادى: «أنّا! أنّا!» «وأنا كان اسم الخادمة».

أسرعت (أنّا) في الحال إلى السيدة (دي ريان) لترى ماذا تطلب. كانت تريد منها أن تحضر شغلا لصوفي كي تبـدأ بتنفيـذه. قالت السيـدة (دي ريـان): «ستبلغ عن قريب الرابعة من عمرها. وقد آن الاوان لتتعلم الشغل.

الخادمة:

ولكن، اي عمل تريد سيدتي أن تقوم به هذه الطفلة الحديثة السن؟

السيدة (دي ريان):

«أعدى لي فوطة لتغبنها أو منديلا.».

لم تجب الخـادمـة بشيء وخـرجت من البهـو بمزاج معكر وعندما كانت داخله إلى غرفتها شاهدت صوفي ما زالت تأكـل. وكـان إنـاء القشـدة شبـه فارغ وقد نقصت قطعة كبيرة من الخبز.

راحت الخادمة وهي تحضر لها خرقة قماش تصرخ: «آه! يا إلهي! سوف تمرضين. أمن الممكن أن تكوني أكلت كل هذا؟ ماذا ستقول والدتك عندما تراك تتألمين؟ سوف تتسببين لي بالتأنيب!

صوفي:

إطمئني يا خادمتي! كنت جائعة جدا، ولن أقع مريضة. إن القشدة مع الخبز الساخن طيبة جدا!.

الخادمة:

نعم، لكنها ثقيلة على المعدة. يا إلهي! ما أكبر قطعة الخبز التي أكلتها! إني أخشى، وأخشى كثيرا أن تقعي مريضة.

صوفي وهي تعانقها:

لا، يا عزيزتي (أنّا)، إطمئني. أؤكد لك أني في صحة جيدة.

أعطتها الخادمة منديلا صغيرا لتغبن حاشيته وطلبت منها أن تحمله الى أمها التي ترغب في تعليمها الشغل.

أسرعت صوفي إلى البهو حيث كانت أمّها تنتظرها وقدمت لها المنديل. فدلتها أمّها كيف يجب غرز الابرة وسحبها. وكانت البداية سيئة جدا. ولكن بعد بضع قطبات، تحسّن شغلها ووجدت العمل مسلّيا جدا.

فقالت لأمها:

«أتسمحين لي أن أعرض شغلي على خادمتي؟

ـ طبعا تستطيعين الذهاب اليها، ثم تعودين فيما بعد لترتيب أغراضك كلها واللعب في غرفتي».

خفّت صوفي إلى خادمتها التي تعجّبت من رؤية الحاشية شبه منتهية ومشغولة جيدا.

فسألتها بقلق عما إذا كانت لا تشعر بالوجع في معدتها.

قالت صوفي:

«لا، يا خادمتي، أبدا. لكني لا اشعر بالجوع.

الخادمة:

«أنا أكيدة من ذلك بعد كلّ الذي أكلته. لكن عودي بسرعة الى والدتك خوفا من ان تؤنبك».

رجعت صوفي الى البهو، رتّبت جميع أغراضها وراحت تلعب. لكنها أحست وهي تلعب أنها متضايقة. كان الخبز الساخن والقشدة يضغطان على المعدة، ورأسها يؤلمها، فجلست على كرسيها الصغير وتجمّدت في مكانها مغمضة العينين.

ولما لم تعد والدتها تسمع ضجة، أدارت وجهها فشاهدت صوفي شاحبة الوجه ومتألمة.

فسألتها بقلق شديد: «ما بك، يا صوفي؟ هل أنت مريضة؟.

- إني موجوعة يا أمّي، أجابت صوفي. رأسي يؤلمني.

- منذ متى ذلك؟

- منذ ما انتهيت من ترتيب شغلي.

- هل أكلت شيئا؟

تلكأت صوفي ثم أجابت بصوت خافت:

- لا يا أمّي. لا شيء البتة.

- أرى أنك تكذبين. سأذهب لاسأل خادمتك عن الأمر فهي ستخبرني».

خرجت الأم وظلت غائبة بضع دقائق. وعندما رجعت كانت غاضبة جدا:

- «لقد كذبت عليّ يا آنسة. لقد اعترفت لي خادمتك أنها أعطتك خبزا ساخنا وقشدة وأنك أكلت منها بشراهة كالنهمة. بئس ما فعلت، لأنك سوف تمرضين ولن تعودي تستطيعين الذهاب للعشاء غدا عند خالتك (دوبير) مع ابن خالتك بول. كنت التقيت هناك كميلة ومادلين (دي فلورفيل). وبدل أن تتسلي بالركض في الغابة لتجلبي الفراولة، سوف تلازمين البيت وحدك ولن

تأكلي سوى الحساء».

جسّت السيدة (دي ريان) يدّ صوفي فوجدتها ساخنة، أخذتها الى النوم. ثم قالت للخادمة:

«إني أمنعك من أن تقدمي أي طعام لصوفي حتى صباح الغد. أعطيها ماء أو شراب ورق الليمون الساخن. وإذا صدف وكررت يوما ما فعلته هذا الصباح سوف أصرفك فورا».

أحسّت الخادمة أنها مذنبة فلم تجب. وصوفي التي كانت فعلا مريضة قبلت بأن توضع في فراشها دون أن تقول شيئا. قضت ليلة سيئة ومضطربة. كانت تتألم من رأسها ومعدتها. عند الصباح غفت، ولما صحت من النوم كان رأسها ما يزال يؤلمها قليلا، ولكن الهواء المنعش حسّنها. وانقضى النهار عليها بحزن لأنها تحسّرت على العشاء عند خالتها. وبقيت متألمة مدة يومين كاملين. ومنذ ذلك اليوم قرفت من القشدة مع الخبز الساخن فما عادت ذاقتها مطلقا.

كانت تذهب أحيانا مع آبن خالتها وصديقاتها إلى مزارع الجوار. كان الجميع حولها يأكل بشهيّة القشدة مع الخبز الأسمر، لكن صوفي وحدها لم تكن تذوقه. لأن منظر هذه القشدة السميكة المزبدة وخبز المزرعة

هذا كانا يذكراها كم تألمت عندما التهمت منهما كثيرا.
فينقبض قلبها. ومنذ ذلك الوقت أيضا لم تعد تنصت لنصائح خادمتها التي لم تمكث طويلا في البيت. لأن السيدة (دي ريان) لم تعد تثق بها واستبدلت بها خادمة أخرى جيدة، لم تكن تسمح لصوفي مطلقا أن تفعل ما تكون أمّها قد نهتها عنه.

الفصل الحادي عشر



ذات يوم كانت صوفي تتنزّه مع بول ابن خالتها في حرج السنديان القريب من القصر. كانا يبحثان، كلاهما، عن البلوط ليصنعا منه سلالا وقباقيب، وزوارق. فجأة أحسّت صوفي ببلوطة تقع على ظهرها.

وبينما هي تنحني لالتقاطها وقعت بلوطة أخرى على طرف أذنها. فنادت بول قائلة:

«بول، بول. تعال وانظر الى هاتين البلوطتين اللتين وقعتا عليّ. إنهما مقروضتان. ما الذي استطاع قرضهما فوق؟ فالفئران لا تتسلق الأشجار، والعصافير لا تأكل البلوط.

أخذ بول البلوطتين، ونظر إليهما، ثم تطلّع إلى فوق وصرخ: «إنه سنجاب. إني أراه. إنه على غصن في أعلى الشجرة. وهو ينظر إلينا كأنه يسخر منّا.».

تطلعت صوفي إلى فوق، فشاهدت سنجابا صغيرا وجميلا، له ذيل رائع، مرفوع بأبهة. كان ينظف وجهه بقائمتين الأماميّتين الصغيرتين، وينظر من وقت لآخر إلى صوفي وبول، أو يقفز قفزة، ويثب إلى غصن آخر. فقالت صوفي:

«كم أتمنى أن أحصل على هذا السنجاب. ما ألطفه وكم سيسلّيني عندما سألاعبه، أو آخذه في نزهة، أو أعتني به.

بول: .

ليس القبض عليه صعبا. لكن رائحة السنجاب في الغرفة كريهة. بالاضافة إلى أنه سيقضم كل شيء.

صوفي :

أواه! سأمنعه من القضم منعا باتا، لأني سأضب على كل أغـراضي . ولن تفوح منه رائحة كريهة لأني سأنظف قفصه مرتين في النهار. ولكن كيف ستفعل أنت للقبض عليه؟ .

بول :

سأجيء بقفص كبير نوعا ما، وأضع فيه جوزا، وبندقا ولـوزا، كل ما تفضله السنـاجب، وسأضع القفص قرب هذه السنديانة، وأترك بابه مفتوحا، وسأربط الباب بخيط وأختبىء بقرب الشجرة.

فعندما يدخل السنجاب القفص ليأكل أجذب الخيط فينغلق الباب، ويعلق السنجاب .

صوفي :

لكن، قد لا يرغب السنجاب في دخول القفص لأنه يخافه.

بول :

آه. لا خوف من ذلك، لأن السناجب شرهة. وهو لن يقاوم إغراء اللوز والجوز.

صوفي :

التقطه لي، أرجوك، يا بولي العزيز. سأكون جدّ

ولكن ماذا ستقول والدتك؟ قد لا ترغب فيه.

صوفي:

ستقبل به. سوف نطلبه منها كلانا، ونكرر الطلب إلى أن ترضى.

وأسرع الطفلان إلى البيت. وتكفّل بول بشرح الموضوع إلى السيدة (دي ريان) التي رفضت في بادئ الأمر ثم ما لبثت أن رضيت وقالت لصوفي:

أحذرك من أن سنجابك سوف يضجرك سريعا. سيتسلق كل شيء. سيقرض كتبك ولعبك. ستفوح منه رائحة كريهة، وسوف لا يطاق.

صوفي:

آه. لا، يا أمّي. أعدك بأن أعتني به جيدا، فلا يسيء إلى أحد.

السيدة (دي ريان):

قبل أي شيء لا أريد سنجابك في البهو ولا في غرفتي. ستحتفظين به دائما في غرفتك.

صوفي:

نعم يا أمّي، سوف يبقى عندي إلا عندما آخذه في

زهة .

أســرع بول وصــوفـي مســرورين جدا للبحث عن
ص . فوجـدا في مخزن الغلال قفصا كان قد استخدم
سابقا لسنجاب . جلباه ونظفاه بمعاونة الخادمة ، ووضعا
فيه لوزا طريا وجوزا وبندقا .

صوفي : .

والآن لنحمـل القفص ونـذهب بسـرعة ونضعه تحت
سنديانة . عسى أن يكون السنجاب ما زال هناك .

بول :

انتظـري كي اربـط خيطا بالباب يجب أن يمرّ الخيط
بين القضبان كي لا ينفلق الباب عندما أجذبه

وفي :

أخشى أن يكون السنجاب قد ذهب .

بول :

لا ، سيبقى هنـاك او في الجـوار حتى المسـاء . .
لآن ، لقد انتهيت . اسحبي الخيط لنرى إذا كان
حكما .

جذبت صوفي الخيــط فانغلق البـاب حالا . فحمـل
ولـدان القفص وهمـا مفتـونان به الى الحرج الصغير .
ولمـا وصـلا حد السنديانة ، تلفتا ليريا إذا كان السنجاب

ما زال موجودا فلم يشاهدا شيئا. لا الاوراق تتحرك ولا الاغصان. حزن الولدان وراحا يبحثان تحت سنديانات أخرى. وإذ تلفّت صوفي على جبينها بلوطة مقروض كبلوطتي الصباح،
صرخت:

«إنه هنا. إنه هنا. أنظرها هو. فأنا أرى طرف ذنب باديا من وراء هذا الغصن الكثيف.».

وبالفعل، عندما سمع السنجاب أصواتا، أطل برأس ليرى ماذا يحصل. قال له بول:

«إذاً هذا أنت، يا صديقي العزيز: ستصبح قريبا في السجن. خذ، هذه مؤونة حملناها لك. كن شرها، صديقي، كن شرها. سترى كيف نعاقب على الشراهة».

أما السنجاب المسكين الذي لم يكن ينتظر أن يصبح سجينا تعيسا، فكان ينظر إليهما هازئا وهو يحرك رأسه يمينا وشمالا. شاهد القفص الذي وضعه بول على الأرض، فنظر نظرة اشتهاء إلى اللوز والجوز. وعندما اختفى الولدان خلف جذع السنديانة، هبط غصنين أو ثلاثة. تلفت إلى جميع الجهات ثم نزل قليلا. وهكذا تابع هبوطه شيئا فشيئا حتى وصل الى القفص. فأدخل

قائمتـه الأمـامية من خلال القضبـان، ثم الثانية ولكن، عنـدمـا وجـد نفسـه لا يستطيـع التقاط شيء، وبدت له اللوزات شهيّـة أكثـر فأكثر، بحث عن وسيلة لدخـول القفص. ولم يلبث طويـلا أن وجـد البـاب، فتوقف عند المـدخـل، ونظر إلى الخيط بريبة، ثم مدّ قائمته مجددا ليصيب اللوز او الجوز. ولكن عندما وجد أنه لا يستطيع الـوصـول إليهـا، جازف أخيـرا بدخول القفص. وما أن دخل وكان الولدان ينظران إليه من طرف عينيهما ويتتبعان حركـاتـه بقـلب خافـق - حتـى جذبـا الخيـط وعلق السنجـاب. خاف فرمى اللوزة التي كان بدأ يقضهمـا، وراح يدور في القفص بحثا عن مخرج ليهرب.

ومـع الأسـف كان على هذا الـحيـوان الـصـغيـر والمسكين أن يدفع ثمن شراهته ويبقى مسجونا. انقضّ الـولـدان على القفص. أقفـل بول البـاب بدقـة وحمـل القفص إلى غرفة صوفي التي سبقته ونادت خادمتها وهي متباهية لكي تريها صديقها الجديد.

لم تكن الخادمة مسرورة بهذا الداجن الجديد. فقالت:

«مـاذا سنفعـل بهـذا الحيـوان؟ سوف يعضّنـا، ويثير حولنا ضجة لا تطاق. أية فكرة حملتك، يا صوفي، على

توريطنا بهذا الحيوان الشنيع».

صوفي:

أوّلا، يا خادمتي العزيزة، إنه ليس شنيعا. فالسنجاب حيوان جميل جدا. ثم إنه لا يضج أبدا ولن يعضنا. وأنا سأهتم به.

الخادمة:

بالحقيقة، أنا أرثي لحالة هذا الحيوان المسكين. سوف تتركينه قريبا يموت من الجوع.

صوفي، بسخط:

يموت من الجوع. طبعا لا. سوف أقدم له بندقا، ولوزا، وخبزا وسكرا وخمرا.

الخادمة بسخرية.

هذا سنجاب سيتغذى جيدا: السكر يتلف أسنانه، والخمر سوف يسكره.

بول ضاحكا:

ها. ها. ها. سنجاب سكران. سيكون ذلك مسلّيا.

صوفي:

أبدا، يا سيد. سنجابي لن يسكر. سوف يكون عاقلا

جدا .

الخادمة :

سوف نرى . سأجلب له قبل كل شيء قشّا لكي يستطيع النوم . يظهر أنه خائف . لا أعتقد أنه مسرور بالقبض عليه .

صوفي :

سألامسه ليعتاد عليّ ، ولأظهر له أننا لن نؤذيه .

ومدت صوفي يدها الى القفص ، فخاف السنجاب وهرب الى زاوية . فقرّبت يدها لتمسكه ، وعندما كادت تقبض عليه ، عضّ السنجاب إصبعها . شرعت صوفي تصرخ ونترت يدها المضرجة بالدم . وإذ بقي باب القفص مفتوحا ، قفز السنجاب إلى الخارج وراح يركض في الغرفة . ركضت وراءه الخادمة وبول . ولكن عندما ظنا أنهما قبضا عليه ، قفز السنجاب قفزة كبيرة ، فأفلت ، وتابع قفزه في الغرفة . نسيت صوفي إصبعها النازفة ، وحاولت مساعدتهما . واستمر صيدهم له مدة نصف ساعة . وبدأ السنجاب يتعب وكاد يعلق ، إذ لمح النافذة مفتوحة . فقفز إليها فورا ، وتسلق الحائط خارج النافذة ، حتى وصل الى السطح .

نزل بول وصوفي والخادمة ركضا الى الحديقة .

وعنـدمـا تطلعـوا إلى فوق شاهـدوا السنجاب حاطا على السطح نصف مائتٍ من التعب والخوف. فصاحت صوفي:

ما العمل يا خادمتي، ما العمل؟

الخادمة:

يجب تركه، تعلمين جيدا أنّه سبق وعضّك.

صوفي:

عضّني لأنه لا يعرفني حتى الآن. لكن عندما سيرى أني أقدم له الطعام، فسيحبني.

بول:

أعتقـد أنـه لن يحبك أبدا. فهو عجوز جدا ولن يتعوّد البقـاء مسجـونـا. كان يجب الحصول على واحد أصغر منه سنّا.

صوفي:

آه! بول! أرجـوك إرمـه بالطـابة لينزل. سنقبض عليه من جديد ونسجنه.

بول:

كنت أودّ ذلك، لكني لا أعتقد أنه يرغب في النزول.

وراح بول فجلب طابـة كبيـرة، ورماها ببراعة فأصاب السنجـاب على رأسـه. فتـدحـرجت الطـابـة ووراءهـا

تدحرج السنجاب المسكين، ووقع كلاهما أرضا. نطّت الطابة أكثر من نطّة، لكن السنجاب انشق وهو يلامس الأرض ونفق، رأسه دام وخاصرتاه وقوائمه مكسّرة. أسرعت صوفي وبول لالتقاطه وبقيا مشدوهين أمام الحيوان المسكين النافق.

ثم قالت صوفي:

أنت شرير يا بول. لقد قتلت سنجابي.

بول:

إنها غلطتك. لماذا طلبت أن أنزله برمي الطابة عليه؟

صوفي:

كان يجب تخويفه فقط وليس قتله.

بول:

لكني ما أردت قتله. أصابته الطابة، ولم أكن أعتقد أني بهذه المهارة.

صوفي:

لست ماهرا بل شريرا. إذهب من هنا. ما عدت أحبك أبدا.

بول:

وأنا أكرهك. أنت أشدّ حماقة من السنجاب. وأنا مغتبط لأني حرمتك من تعذيبه.

صوفي :

أنت صبي سيّىء، يا سيد. لن ألعب معك أبدا. ولن أطلب منك شيئا أبدا.

بول :

هذا أفضل يا آنسة. هكذا أرتاح تماما، ولن يكون عليّ عصر دماغي لمساعدتك في الحماقات.

الخادمة :

اسمعا يا ولديّ، بدل أن تتشاجرا، أقرا أنكما تصرفتما كلاكما دون تفكير وأنكما معا مسؤولان عن موت السنجاب. يا للحيوان المسكين! إنه الآن أكثر سعادة مما لو ظل على قيد الحياة، لأنه لم يعد يتعذب. سأنادي من يحمله ويرميه في حفرة ما. وأنت يا صوفي اصعدي إلى غرفتك وضعي إصبعك في المياه. سألحق بك إلى هناك.

ذهبت صوفي، ثم لحق بها بول الذي كان صبيا صغيرا وطيبا لا يحمل أية ضغينة. حتى أنه بدل أن يحرد راح يساعدها على صب الماء في طست كي تغمس فيه يدها. وعندما صعدت الخادمة لفّت على أصبع صوفي بعض أوراق الخس وربطته بخرقة صغيرة. وعندما دخل الولدان إلى البهو للعشاء كانا خجلين قليلا لاضطرارهما

إلى سرد نهاية مغامرتهما مع السنجاب.

سخر الأبوان والأمّان منهما. وأعيد القفص إلى غرفة الغلال. وظل إصبع صوفي يؤلمها بضعة أيام، لم تعد بعدها تفكر في السنجاب إلا لتؤكد لنفسها بأنها بعده لن تحصل أبدا على سنجاب.

الفصل الثاني عشر
«طقم الشاي»



كان ذلك في الثامن عشر من تموز، يوم مولد صوفي. كان عمرها أربع سنوات.

ومن عادة أمّها في هذه المناسبة أن تقدم لها دائما هدية جميلة. لكنها لم تكن تخبرها سلفا عما ستقدمه لها. نهضت صوفي من النوم أبكر من عادتها. كانت

تعجّل في ارتداء ثيابها لتذهب إلى أمّها وتتسلم منه هديتها. وكانت تقول لخادمتها:

أسرعي، أسرعي، أرجوك. أنا متشوّقة جدا لمعرفة ما ستقدمه لي أمي بمناسبة عيدي!

الخادمة:

لكن، أعطيني الوقت الكافي لتمشيطك. إنّك لا تستطيعين الذهاب منفوشة الشعر كما أنت. وإلا تكون طريقة حسنة لبدء سنتك الخامسة. إذاً اجمدي فأنت تتحركين باستمرار.

صوفي:

آخ! آخ! أنت تنتفين شعري، يا خادمتي.

الخادمة:

إنك تديرين رأسك الى جميع الجهات. ها! من جديد! كيف أستطيع أن أحزر إلى أية جهة يعجبك أن تديري رأسك.

وأخيرا ألبست صوفي ثيابها، وسُرّح شعرها وتمكنت من الذهاب سريعا إلى أمّها.

«ها أنت مبكّرة جدّا، يا صوفي، قالت الأمّ مبتسمة. أرى أنّك لم تنسي سنواتك الأربع والهديّة المتوجّبة عليّ. خذي، هذا كتاب سوف تجدين فيه ما يسلّيك.»

شكــرت صوفي أمّهــا بارتبــاك، وأخـذت الكتـاب المجلّد تجليدا أحمر. وفكّرت:

«ماذا أفعل بهذا الكتاب؟ أنا لا أعرف القراءة: فبماذا سيفيدني؟»

كانت الأم تنتظر اليها وتبتسم، ثمّ قالت لها:

«يبـدو أنـك غير مسرورة بهديّتي . مع أنّها جميلة جدّا. لقد كتب على الغلاف الفنون. وأنا متاكّدة سيسلّيك أكثر ممّا تعتقدين.

صوفي:

لا أعرف يا أمّي:

الأمّ:

افتحيه لتري:

رغبت صوفي في فتـح الكتـاب. ففـوجئت أنّهـا لم تستطـع، ممّا جعلها تستغرب أكثر. ذاك أنّها كلّما قلّبت الكتاب كان يخرج منه صوت غريب. فتطلّعت الى أمّها متعجبّة.

فاستغـربت السيدة (دي ريان) في الضحك، وقالت لها: «أنّه كتاب غير عاديّ. فهو غير الكتب التي تُفتح من تلقـاء ذاتهـا. هذا كتـاب لا يفتـح الاّ اذا ضغطنا بابهامنا على وسط حافته».

وضغطت الـوالـدة قليـلا باصبعهـا، فانفتح الغطاء، فسـرّت صوفي. ورأت أنّـه لم يكن كتـابـا، وانّمـا علبـة تلوين خلاّبة، مع فراش واقدام، ودزينة دفاتر صغيرة مع صفحـات رائعـة للرسم. فصـرخت صوفي: «شكرا، يا أمّي العزيزة. كم أنا مسرورة! وكم هو جميل!

الامّ:

لقـد انخـدعت منـذ قليل عندما ظننت أنّي أقدّم لك كتـابـا حقيقيّا. لا أريد أن أوقعك في مقلب. تستطيعين اللهو بالتلوين خلال النهار مع بول آبن خالتك وصديقتك كميلة ومـادلين اللتين دعـوتهمـا لقضـاء النهـار معـك، ستكونان هنا في الساعة الثانية. وخالتك السّيدة (دوبير) ملّفتني أن أقدّم لك من قبلها طقم الشاي هذا، فهي لن تستطيـع المجيء الاّ عنـد الساعة الثالثة، وقد رغبت في أن تقدّم لك هدّيتها منذ الصباح».

أخت صوفي السيـدة الصينيـة مع الفنـاجين الستّـة، وابريق الشاي، والسكرّية واناء القشدة الفّضّي. وطلبت الاذن لصنع شاي حقيقي لصديقتيها. فقالت لها السّيدة (دي ريـان): «لا، سوف توسّخين كل شيء، ستمرغين القشـدة في كلّ مكـان، وستحـرقين لسـانـك بالشـاي. تظاهري أنّك تشربين الشاي، وهذا ما يكفي للتسلية.»

لم تقـل صوفي شيئـا لكنّهـا لم تكن مسرورة . وقالت في نفسهـا : «مـاذا تفيدني الآنية اذا كنت لا أستطيع أن أضع فيها شيئا؟ وسوف تسخر منّي صديقتاي . يجب أن أبحث عن شيء أملأ به كلّ هذه الآنية . . وسأطلب ذلك من خادمتي» .

وقـالت صوفي لأمّها أنّها تريد أن تعرض الهدايا على خادمتها . فحملت العلبة وطقم الشاي وخفّت الى غرفتها .

صوفي :

«أنظـري ، يا خادمتي ! هذه الأشيـاء الجميلة أهدتني أيّاها أمّي وخالتي (دوبير)

الخادمة :

آنيـة جميلة ! سوف تتسلّين بهـا جيّدا . لكنّي لا أحب كثيـرا هذا الكتـاب . ماذا يفيـدك كتـاب طالمـا أنّـك لا تعرفين القراءة؟

صوفي ، ضاحكة :

عافــاك ! هذه خادمـتـي قد خُدعت مثلي . هذا ليس كتابا ، أنّه علبة تلوين .

وفتحت صوفي العلبة فوجدتها الخادمة خلاّبة . وبعد محـادثـة حول ما ستفعـلان خلال النهـار أخبرتها صوفي

أنّهـا كانت راغبـة في تقديم الشاي الى صديقتيها. لكّن والدتها لم تسمح لها بذلك ـ وسألتها:

«ماذا أضع في ابريق الشاي؟ وفي يكّريتي، وفي اناء القشـدة؟ الا تستطيعين يا خادمتي العـزيـزة مسـاعـدتي قليلا وإعطائي ما يمكن تقديمه لصديقتّي كي تأكلاه»؟

فأجابت الخادمة:

ـ لا يا صغيـرتي المسكينـة. هذا مستحيل. تذكّري أنّ أمّك قد هدّدتني بالطرد اذا أعطيتك ما يؤكل.

تنهّـدت صوفي وراحت تفكّـر. وشيئـا فشيئـا أضـاء وجهها، لقد وجدت فكرة. سوف نرى اذا كانت الفكرة جيدة:

لعبت صوفي، ثمّ تناولت طعام الغداء. وعندما كانت عائـدة من النـزهة مع والدتها قالت بأنّها ستستعدّ لوصول صديقتيهـا. وضعت علبـة التلوين على طاولـة صغيـرة. وعلى طاولـة أخـرى صفّت الفنـاجين الستّـة حول دائـر الطـاولـة، وفي الـوسـط وضعت السكّريّة وابريق الشاي واناء القشدة. ثم قالت:

«الآن سوف أحضّر الشاي» أخذت الابريق وتوجّهت الى الحـديقـة فقطفت بضع أوراق برسم ووضعتها في ابريق الشـاي، ثمّ ذهبت فجـاءت بمياه من الصحن الذي يلغ

منه كلب والدتها، سكبت المياه في الابريق، وقالت بغبطة:

«ها هو الشاي! والآن سأضع القشدة» راحت فجاءت بقطعة الطبشور الأبيض الذي يستخدم في تلميع الاواني الفّضّية. كشطت منه قليلا بسكّينها الصغير وصبّته في اناء القشدة الذي ملأته هو أيضا بمياه الكلب وخفقتهما جيّدا بملعقة صغيرة. فلّما ابيضّت المياه تماما أعادت الاناء الى الطاولة. ولم يبق عليها الاّ أن تملأ السكّريّة. فعادت الى طبشور الفّضّية، فكّسرت منه بسكينها قطعا صغيرة، وملأت السكّريّة ووضعتها على الطاولة. وأجالت نظرها على كلّ شيء بفتون، ثم قالت وهي تفرك يديها:

«الآن. حضر الشاي الرائع. أظنّ أنّي نبيهة! واني أراهن أنّه ما كان بامكان بول ولا أيّة واحدة من صديقتي أن يتوصل الى ابتكار جيّد كهذا».

انتظرت صوفي صديقتيها نصف ساعة أخرى، لكنّها لم تضجر. كانت جدّ مسرورة بشايها الذي ما كانت ترغب في الابتعاد عنه. فراحت تدور حول الطاولة وتنظر اليه بفرح وتفرك يديها وتكّرر:

«يا الله! كم أنا نبيهة! كم أنا نبيهة».

وأخيرا وصل بول والصديقتان. خفّت اليهم صوفي، عانقتهم جميعا، ودعتهم سريعا الى البهو الصغير كي تعرض عليهم أشياءها الجميلة. وأوّل ما لفت انتباههم علبة التلوين كما لفتت من قبلهم انتباه صوفي والخادمة. ووجدوا طقم الشاي فاتنا ورغبوا في بدء الوليمة فورا. لكّن صوفي طلبت منهم أن ينتظروا حتّى الساعة الثالثة. فصّبوا جميعا جهدهم في تلوين رسوم الدفاتر الصغيرة. وكان لكّل واحد دفتره.

وبعد أن لهوا جيّدا بعلبة الالوان ورتّبوا كلّ شيء بعناية، صاح بول:

«والآن، لنشرب الشاي.

ـ أجل! أجل! أجابت الفتيات معا.

كميلة:

دورك يا صوفي. قومي بالتشريفات.

صوفي:

أجلسوا جميعكم حول الطاولة. هكذا ـ هذا جيّد ـ أعطوني فناجينكم لكي أضع فيها السكّر. ثمّ الشاي.. ثمّ القشدة.. والآن اشربوا.

مادلين:

أنّه فريد من نوعه. فالسكّر لا يذوب.

صوفي :
حركّيه جيّدا، سيذوب.
بول.
شايي بارد!
صوفي.
هذا، لأنه حُضِّر منذ وقت طويل.
كميلة تذوق الشاي ثم تبصقه بقرف.
أواه! يا للهول! ما هذا؟ هذا ليس شايا!
مادلين وهي تبصق أيضا :
هذا كريه! له طعم الطبشور.
بول باصقا بدوره:
ماذا قدمت لنا في هذه الفناجين يا صوفي؟ إنه شيء كريه ومقرف!
صوفي مرتبكة:
أهذا ما ترونه؟
بول:
هذا ما نراه؟ إنه كريه. والمقرف في الأمر أن تخدعينا هكذا! إنك تستحقين أن نسقيك بالقوة شايك المقرف.
صوفي غاضبة:
أنتم جميعا متطلبون ولا شيء يعجبكم!

كميلة ضاحكة :

اعترفي يا صوفي بأنه لا داعي أن يكون الواحد متطلبا لكي يجد شايك عاطلا جدا .

مادلين :

فيما يخصني ، لم أذق في حياتي شيئا أقرف منه .

بول مقدّما إبريق الشاي لصوفي :

إشربي إذا! إشربي لتري إذا كنا متطلبين .

صوفي مقاومة :

أتركني . أنت تزعجني .

بول متابعا :

آه! نحن متطلبون! أنت تجدين شايك طيبا . إشربيه إذاً مع قشدتك .

وأمسك بول بصوفي وسكب لها الشاي في فمها .

وكان سيفعل الشيء ذاته بما خص القشدة المزعومة رغم صراخ صوفي وغضبها . إلا أن كميلة ومادلين اللتين كانتا لطيفتين وكانتا تشفقان على صوفي وثبتا على بول وانتزعتا منه إناء القشدة . وبول الذي كان غاضبا دفعهما عنه . فاغتنمت صوفي الفرصة لتتفلّت ولتنزل ضربا ببول بجماع يدها . عندئذ حاولت كميلة ومادلين الامساك بصوفي . وكان بول يزعق ، وصوفي تصرخ ، وكميلة

ومـادلين تطلـان نجـدة. كان الصخب يصم الآذان. أسـرعت الأمهات مذعورات. وما أن ظهرن حتى تجمّد الأولاد في أماكنهم.

ماذا يجـري إذاً؟ سألت السيـدة (دي ريـان) بلهجـة قلقة وقاسية، فلم يجب أحد!.

السيدة (دي فلورفيل):

كميلة! إشرحي لنا سبب هذا العراك.

كميلة:

أمّي! لم تكن مادلين وأنا نتعارك مع احد.

السيدة (دي فلورفيل):

كيف؟ لم تكـونـوا تتعـاركـون؟ أنت كنت تمسكين بذراع صوفي. ومادلين تمسك بول بساقه.

كميلة:

كان ذلك لمنعهما من... من... اللعب بقساوة.

السيدة (دي فلورفيل) وهي تكبت ابتسامة:

لعب! أنت تسمين هذا لعبا!

السيدة (دي ريان):

أنـا أعـرف ما حصـل. تشـاجر بول وصوفي كالعادة. وحـاولت كميلة ومـادلين منعهمـا من التضـارب. لقـد حزرت. أليس كذلك يا عزيزتي كميلة؟

كميلة بصوت خافت ومخجولة :
نعم، يا سيدتي .
السّيدة (دوبير) :
ألا تخجلون، سيد بول، من هكذا تصرّف؟ تغضبون لأتفه سبب، وتتهيأون للتضارب .
بول :
ليس لسبب تافه يا أمّي . حاولت صوفي أن تسقينا شايا مقرفا لدرجة أننا لما تذوقناه اشمأزت أنفسنا، وعندما تذمرنا قالت لنا بأننا متطلّبون جدا .
أخذت السيدة (دي ريان) إناء القشدة، شمته، ذاقت منه بطرف لسانها، قطّبت وجهها اشمئزازا، وقالت لصوفي :
من أين جئت بهذه المزعومة قشدة يا آنسة؟
صوفي خافضة رأسها وخجلة جدا :
لقد صنعتها يا أمّي .
السيدة (دي ريان) :
أنت صنعتها؟ ممَّ؟ أجيبي .
من طبشور الفضية ومن مياه الكلب .
السيدة (دي ريان) :
وشايك؟ ماذا كان؟

صوفي بالوضع ذاته:
من أوراق البرسم ومياه الكلب.
السيدة (دي ريان) فاحصة السكرية:
هذه وليمة رائعة لصديقتيك ! مياه وسخة وطبشور! أنت تبدأين سنتك الخامسة جيدا يا آنسة. وذلك بمعصيتي عندما منعتك من صنع الشاي، وبمحاولة سقي صديقتيك الشيء المقرف الذي تسمينه شايا، وبالتقاتل مع ابن خالتك. سأستعيد أوانيك لأمنعك من تكرار الأمر.

وقد كنت أرسلتك تتعشّين في غرفتك لولا أني أخشى أن أفسد لذة صديقتيك اللتين هما طيبتان جدا، وسوف تتأثران لقصاصك.

عادت الأمهات وهن يضحكن غصبا عنهن من الوليمة الساخرة التي اخترعتها صوفي. وبقي الأولاد وحيدين. وكان بول وصوفي مخجولين من عراكهما، فلم يجرؤا على أن ينظر أحدهما إلى الآخر. عانقتهما كميلة ومادلين، وفرجتا عنهما وحاولتا مصالحتهما. فعانقت صوفي بول، واعتذرت من الجميع. ونُسي الأمر. ثم أسرعوا الى الحديقة حيث التقطوا ثماني فراشات رائعة. وضعها بول في علبة بغطاء من زجاج.

أمـا بقيـة ما بعد الظهر فقد انقضت بتنظيم العلبة كي تكـون إقـامـة الفـراشات فيها مريحة. فوضعوا لها عشبا وزهورا ونقاط مياه محلاة بالسكر، وفراولة وكرزا. وعندما هبــط المســاء وجـاء وقت الـرحيـل، حمـل بول علبـة الفـراشات بناء لطلب صوفي وكميلة ومادلين اللواتي كن راغبات في الاحتفاظ بها.

الفصل الثالث عشر
«الذئاب»



رأينـا بوضـوح في القصص التي قرأنـاهـا سابقـا أن صوفي لم تكن مطيعـة كثيـرا. كان يفتـرض أن تكون قد اصطلحت، لكنها لم تكن كذلك بعد. لذلك حلّت بها متاعب أخرى.

في غد اليوم الذي أتمت فيه صوفي سنتها الرابعة، نادتها أمها وقالت لها:

- «يا صوفي! لقد وعدتك أنك يوم تبلغين الرابعة من العمر - سترافقينني في نزهاتي المسائية الطويلة. إنّي ذاهبة الى مزرعة (سقيتين) مرورا بالغابة. وسترافقينني إنما انتبهي ألّا تبتعدي عني. تعرفين أني أسرع في المشي وإذا توقفت قد تتخلفين عني كثيرا قبل أن ألاحظ ذلك.

ولأن صوفي كانت مسرورة للقيام بهذه النزهة، فقد وعدت أمّها بأن تلحق بها عن قرب كي لا تتيه في الغابة.

وبول الذي وصل في تلك اللحظة طلب أن يرافقهما. فزاد فرح صوفي.

مشيا فترة وجيزة بتعقّل خلف السيدة (دي ريان). كانا يلهوان بمشاهدة الكلاب الضخمة التي كانت تصطحبها السيدة (دي ريان) دائما وهي تعدو وتقفز. وعندما وصلوا الى الغابة قطف الولدان بعض الأزهار النابتة على حافتي الطريق، ولكنهما كانا يقطفانها دون أن يتوقفا.

ثم لمحت صوفي بالقرب من الدرب نبتات عديدة

من الفراولة زاخرة بالثمار. فصرخت:
«يا للفراولة الطيبة! من المؤسف أن لا نستطيع أكلها!».
سمعت السيدة (دي ريان) صيحتها فالتفتت صوبها ومنعتها مرة أخرى من التوقف. تنّهدت صوفي ونظرت بعين الأسف الى الفراولة الطيبة التي كانت تشتهيها كثيرا.

قال لها بول:
لا تنظري إليها فلا تعودي تفكرين بها أبدا.

صوفي:
لكنها حمراء جدا، وجميلة جدا، وناضجة جدا، يجب أن تكون طيبة للغاية!

بول:
كلما نظرت إليها زاد اشتهاؤك لها. وطالما أن خالتي منعتك من قطفها فما ينفع النظر إليها؟

صوفي:
أتوق إلى قطف فراولة واحدة فقط، وذلك لن يؤخرني كثيرا. إبق معي، سنأكلها معا.

بول:
لا، أنا لا أعصى أمر خالتي، ولا أرغب في أن أضيع في الغابة.

صوفي :

ولكن، ليس هنـاك من خطر. تعرف جيدا أن والدتي قالت ذلـك لكي تخيفنـا. سوف نتبين طريقنا بوضوح لو بقينا خلفها.

بول :

أبدا، الغابة كثيفة وقد نتيه.

صوفي :

إفعـل كمـا تشـاء يا جبـان. فأنـا عنـد أوّل بقعـة من الفراولة كالتي شاهدناها لتونا، سوف آكل بعضا من ثمارها.

بول :

أنـا لست جبـانـا، يا آنسـة. أمـا أنت فأنـك متمـرّدة وشرهة. تيهي في الغابة إذا شئت. أما أنا فأني أفضل أن أطيع خالتي.

وتـابـع بول اللحـاق بالسيـدة (دي ريان) التي كانت تسـرع الخطـو دون أن تتلفت إلى الوراء. وكلابها كانت تحيـط بهـا من الأمام ومن الخلف. فجأة نمحت صوفي بقعة جديدة من الفراولة أجمل من الاولى. فأكلت فراولة فوجدتها لذيذة ثم ثانية فثالثة. قرفصت لكي تقطف منها براحـة وبسـرعـة أكبـر. وكـانت من وقت لآخـر تنظر إلى

والـدتهـا وبـول اللذين كانا يبتعدان. ثم بدا أن الكلاب قلقـة تتجـه نحو الغابة ثم تعود، إلى أن انتهت بالاقتراب كثيرا من السيدة (دي ريان) التي تلفتت لتبحث عما يثير خوف الكلاب فلمحت في الغابة من خلال الأوراق عيونا مفترسة تلمع. وسمعت في الوقت نفسه حسيس أغصان يابسة وأوراق جافة. فالتفتت وراءها لتأمر الولدين بالسير أمامها فهلعت عندما لم تر إلّا بول! فصرخت:

«أين صوفي؟

بول:

أرادت أن تبقى في الخلف يا خالتي. لتأكل فراولة.

السيدة (دي ريان):

يا للطـفلة التعيســة! ماذا فعلت؟ نحن محــاطــون بالذئاب. لنرجع كي ننقذها، إذا لم يكن الوقت قد فات!».

وهـرولت السيـدة (دي ريـان) تلحقهـا كلابهـا وبول المسكين مذعورا إلى حيث بقيت صوفي. فلمحتها من بعيـد قاعـدة بين الفراولة تأكل منها بهدوء. فجأة، أطلق كلبـان من كلابهـا هريـرا معـولا وعـدوا مطلقين ساقيهما للريـح نحـو صوفي. في اللحظـة ذاتها، أطل من الغابة بحـذر رأس ذئب ضخم، عينـاه لامعتـان وهو فاغر فمه.

عنـدمـا شاهد الكلبين يعدوان تردد لحظة ثم فكر أن لديه متسعـا من الـوقت لاختطـاف صوفي إلى الغـابة قبل أن يصـلا وبعـدئـذ يفترسها. فقفز قفزة هائلة ووثب عليها. عنـدما رأى الكلبان الخطر يداهم سيدتهم الصغيرة وكانا مهتاجين من أصوات السيدة (دي ريان) وبول المرعوبين ضاعفـا سرعتهمـا، وانقضا على الذئب في الوقت الذي كان يمسـك بثـوب صوفي لجـرهـا إلى الغـابـة. وعندما أحسّ الـذئب بعضــات الكلبين، ترك صوفي، وبـــدأ معهمـا معـركـة رهيبة. ثم أصبح موقف الكلبين خطرا. لقـد وصـل ذئبـان اخـران كانا يتبعان السيدة (دي ريان) ويهـرعـان أيضـا نحو صوفي. لكن الكلاب ظلت تقاتل ببسـالـة حتى خنقت الـذئـاب الثلاثة وتركتها نافقة على قارعة الطريق. ثم عادت مخضبة بالدم والجروح تلحس أيـدي السيدة (دي ريان) والولدين اللذين مكثا يرتجفان خلال المعـركـة. فربتت السيـدة (دي ريـان) على ظهر الكـلاب وانطلقت في الطـريق وهي تمسـك كل ولد بيدها محاطة بحماتها الشجعان.

لم تكن السيدة (دي ريان) تقـول شيئـا لصوفي فقد كانت هذه لا تستطيـع المشي، فكثـرة ما كانت ساقاها ترتجفـان من الخـوف الذي نتابها. وبول المسكين كان

شاحبا كصوفي ويرتجف مثلها.

خرجوا أخيرا من الغابة، ووصلوا حدّ جدول رقراق. فقالت السيدة (دي ريان):

«لنتوقف كلنا هنا ونشرب قليلاً من هذه المياه العذبة التي نحن بحاجة إليها كي نتعافى من خوفنا».

وانحنت السيدة (دي ريان) نحو الجدول فشربت بضع جرعات من المياه وغسلت وجهها ويديها. وفعل الولدان مثلها. ثم غطست رأسيهما في المياه الباردة. فشعرا بالانتعاش، وسكن ارتعاشهما.

أما الكلاب المسكينة فقد رمت بأنفسها في المياه، شربت وغسلت جروحها وتقلبت في الجدول ثم خرجت من حمّامها نظيفة ومنتعشة. وبعد ربع ساعة، نهضت السيدة (دي ريان) للانطلاق، ومشى الولدان بجانبها. فقالت لصوفي:

«هل تعتقدين أني كنت على حق عندما منعتك من التوقف؟

صوفي:

نعم، يا أمي. أعتذر منك لأني عصيتك. وأنت، يا عزيزي بول، إني متكدرة لأني سميتك جبانا.

السيدة (دي ريان):

جبان! سميته جبانا! أتعلمين أنه عندما ركضنا نحوك، هو الذي كان يركض أمامي؟ وعندما وصل الذئبان الاخران لمساعدة رفيقهما، هل شاهدت كيف تسلح بول بقضيب التقطه وهو راكض، وارتمى أمامهما ليمنعهما من المرور. وكيف اضطررت أن أحمله بين ذراعي واحتجزه قربك لأمنعه من الذهاب لنجدة الكلاب؟

هل لاحظت أيضا أنه خلال المعركة كان واقفا دائما أمامك ليمنع الذئاب من الوصول إلينا؟ أترين كم أن بول جبان!».

ارتمت صوفي على عنق بول وعانقته عشر مرات وهي تقول:

«شكرا، شكرا، يا بولي الطيب، يا عزيزي بول. سأحبك دائما من كل قلبي».

عندما وصلوا إلى البيت، تعجب الجميع من شحوب وجوههم، ومن فستان صوفي الممزق بأنياب الذئاب.

فقصت السيدة (دي ريان) مغامراتهم المرعبة. والجميع أثنوا على بول لطاعته وشجاعته، والجميع

لاموا صوفي على عدم طاعتها وعلى شراهتها. والجميع أعجبوا ببسالة الكلاب، التي لامسوها كثيرا والتي حصلت على عشاء فاخر من العظام وبقايا اللحم.

وفي الغد قدّمت السيدة (دي ريان) إلى بول بدلة جنديّ تركيّ. فطار صوابه من الفرح. ارتداها حالا ودخل على صوفي. فأطلقت صيحة هلع. لقد شاهدت تركيّا داخلا عليها وهو يعتمر عمامة، حاملا سيفه بيده ويتدلّى من زنّاده مسدّسان. لكنّ بول أخذ يضحك وينط. فعرفته صوفي ووجدته فاتنا بلباسه الرسميّ.

لم تعاقب صوفي على معصيتها. فكّرت والدتها أنّها عوقبت كفاية بالهلع الذي انتابها وأنّها لن تكرّر ما حصل.

الفصل الرابع عشر
«الخد المخدوش»



كانت صوفي غضوبا. وهذا عيب جديد لم نتكلّم عنه بعد.

ذات يوم كانت تتلهّى بتلوين دفتر من دفاترها الصغيرة للتلوين بينما بول ابن خالتها يقص قطع كرتون ليصنع منها سلالا للخضر، وطاولات، وبنوكا. وكان كلّ منهما

يجلس بمواجهة الآخر إلى طاولة صغيرة. وكان بول كلّما هزّ رجليه يهزّ الطاولة.

فقالت له صوفي وقد نفد صبرها: «أنتبه إذا. أنت تزيح الطاولة فلا أستطيع أن أرسم». توقى بول خلال بضع دقائق ثم نسي وعاود هز الطاولة. فصاحت صوفي:
«أنت لا تطاق يا بول! لقد سبق وقلت لك إنّك تمنعني من الرسم.

بول:

أف! إذا كان من أجل الأشياء الجميلة التي ترسمينها فلا داعي للانزعاج بهذا القدر.

صوفي:

أنا أعرف جيدا أنك لا تتضايق أبدا. ولكن بما أنّك تزعجني، أرجوك أن تجمّد رجليك.

بول، ساخرا.

لا تحبّ رجلاي البقاء جامدتين. إنّهما تتحركان غضبا عني.

صوفي، غاضبة:

رجلاك المزعجتان سأربطهما بحبل. وإذا تابعت هزهما سأطردك.

بول:

إذا حاولي قليلا. وسترين ماذا تستطيع أن تفعل القدمان اللتان في طرف ساقي.

صوفي:

تريد أن تركلني برجليك يا شرير؟

بول:

بالتأكيد، إذا لكمتني بقبضتيك».

ثار غضب صوفي ورمت المياه في وجه بول. فثار بدوره ولبط الطاولة. فوقع كل ما كان فوقها. هجمت صوفي على بول وخمشت وجهه بشدّة، فسال الدم على خدّه. صرخ بول. لكن صوفي المستشيطة غضبا تابعت صفعه ولكمه. فانسحب بول إلى حجرة صغيرة وأقفل على نفسه لأنه لم يكن يحبّ مقاتلة صوفي. فطرقت صوفي الباب دون جدوى. لم يفتح بول. فما عتمت صوفي أن هدأت. وعندما زال غضبها، راحت تتندم على ما فعلت. وتذكّرت أنّ بول خاطر بحياته ليحامي عنها من الذئاب.

ففكّرت قائلة:

«مسكين بول! كم كنت شرّيرة معه! ما العمل كي لا يغضب؟ أنا لا أودّ الاعتذار. وإنّه لمزعج أن تقول:

«أعـذرني . . » وبعـد أن فكّرت قليلا أضافت : «إنما أن تكون شرّيرا فهذه أكثر خزيا! وكيف سيسامحني بول إذا استمحتـه عذرا» وبعـد أن تابعت تفكيـرها قليلا نهضت صوفـي وراحت تطـرق باب الحجـرة حيث حبس بول نفســه، ولكن دون غضب هذه المـرة ودون أن تطـرق بقبضات يد قوّية وإنّما بهدوء. ونادت بصوت رقيق جدّا:

«بـول! بول! لكنّ بول لم يجب. فأضـافت بصـوت ناعم دائما: «بول، عزيزي بول. سامحني. أنا مغتاظة جدا لأنّي كنت شرّيـرة. بول! اؤكـد لك أني لن أكـرر ما فعلت».

إنفتـح البـاب نصف فتحة ببطء وظهر رأس بول. نظر إلى صوفي بحذر وقال لها:

«ألم تعودي غاضبة؟ أكيد؟

ـ لا، طبعا لا! يا عزيزي بول. فأنا حزينة كثيرا لأني كنت شريرة جدا».

ففتـح بول البـاب على مصراعيه. وعندما نظرت إليه صوفي. وجـدت وجهـه كلّه مخمشـا. فأطلقت صيحـة ورتمت على عنق بول:

«آه! يا بولـي الـمسكيـن! كم أسأت إلـيـك! كم

خمشتك بأظافري! ما العمل لشفائك؟

بول:

هذا غير مهم . سوف يزول من تلقاء ذاته. فلنبحث عن طست ومياه لأغسل وجهي. وعندما يزول الدم يزول كل شيء».

فأسرعت صوفي وبول للبحث عن طست مملؤ بالمياه. غطّس فيه بول وجهه وحفَّ وجفّف دون جدوى، لأن آثار الأظافر ظلّت ظاهرة على الخد. وظلت صوفي متضايقة.

وقالت:

«ماذا ستقول أمّي. سوف تغضب منّي وتعاقبني».

أما بول الذي كان طيبا جدا، فتضايق هو أيضا. كان يفكّر بحّل حتّى لا تؤنّب صوفي. فقال:

«لن أستطيع القول إني وقعت في الشوك لأن ذلك لن يكون صحيحا.. لكن، بلى.. انتظري إذا. سوف ترين.».

وانطلقت بول مسرعا. لحقت به صوفي. دخلا الحرج القريب من البيت فتوجه بول إلى عليقة ورمى بنفسه فيها وراح يتقّلب حتّى أصبح وجهه منخوزا بالاشواك ومخدشا. فنهض وهو أكثر خدوشا من ذي

قبل.

عندما شاهدت صوفي هذا الوجه المسكين يقطر دماء تكدرت، وبكت وقالت:

«أنـا سبـب كلّ آلامـك، يا بول المسكين! ولكي تحميني من العقاب خدّشت وجهك أكثر ممّا سبّبته لك ساعة غضبت. آه! يا عزيزي بول! كم أنت طيّب! وكم أحبّك!

قال بول:

- لنذهب بسرعة إلى البيت فاغسل وجهي مجدّدا. لا تحزني يا عزيزتي صوفي. اؤكّد لك أن ألمي زهيد جدا. وغدا يكون انتهى كل شيء. فقط أطلب منك ألا تقولي بأنـك خمشتني. فان فعلت أكـون تعيسـا جدا فتـذهب خدوشي من أشواك العلّيقة هباء.

أتعدينني بذلك؟

- نعم، قالت صوفي وهي تعـانقـه، سأفعـل كل ما تطلبه مني».

دخلا غرفتهما، فغطّس بول وجهه في المياه من جديد.

وعنـدمـا توجهـا الى البهـو حيث كانت تجلس الأمّان

صرختـا هاتـان للمفـاجأة إذ شاهـدتا وجه بول المسكين مخدشا و مورّما.

فسألته السيدة (دوبير):

أين فعلت بنفســك هكــذا يا بول المسكين؟ تبــدو كأنك تقلبت في الشوك.

بول:

هذا بالضبــط ما حصــل لي، يا أمّي. سقطت وأنـا أركض في عليقـة. وعنـدما تخبطت للنهوض، خدشت وجهي ويدي.

السيدة (دوبير):

أنت بالفعـل كثيـر الـرعـونة لتقع في العليقة. ما كان عليك وأنت تنهض أن تتخبط بل أن تنسحب بهدوء.

السيدة (دي ريان):

أين كنت إذاً يا صوفي؟ كان عليك أن تساعديه على النهوض.

بول:

«كــانت تتبعني، يا خالتي. ولم يتسن لهــا الــوقت الكافي لمساعدتي. فعندما وصلتْ كنت قد نهضت.».

أخـذت السيـدة (دوبيـر) أبنهـا بول لتـدهن خدوشـه بمرهم الخيار. وبقيت صوفي مع والدتها التي تفحصتها

مليّا.

السيدة (دي ريان):

«لماذا أنت حزينة، يا صوفي؟

صوفي وقد احمرت خجلا:

أنا لست حزينة، يا أمّي.

السيدة (دي ريان):

بلى. أنت حزينة. ومضطربة كما لو أن شيئا يقلقك.

صوفي مغرورقة بالدمع ومهدجة الصوت:

- ما بي شيء، يا أمّي. ليس بي شيء.

السيدة (دي ريان):

ترين جيدا أنك حتى وأنت تقولين: (ما بي شيء) تتهيئين للبكاء.

صوفي، شاهقة بالبكاء:

لا أستطيع... أن... أقول لك. لقد.. وعدت.. بول.

السيدة (دي ريان) جاذبة صوفي:

إسمعي، يا صوفي. إذا كان بول قد قام بعمل سيىء، فأنت في حل من وعدك بعدم البوح به. فأنا أعدك بألا أؤنب بول ولا أقول لأمّه. ولكني أريد أن أعرف ما الذي يجعلك حزينة جدا، وما يبكيك بشدة.

يجب أن تخبريني».

أخفت صوفي وجهها في حضن السيدة (دي ريان) وراحت تشهق حتى أنها لم تستطع الكلام.

حاولت السيدة (دي ريان) أن تطمئنها، وأن تشجعها. فقالت لها صوفي أخيرا:

«لم يرتكب بول أي خطأ، يا أمي. بالعكس إنه طيب جدا وقد قام بعمل جيد. أنا وحدي الشريرة. ولكي يحميني من التأنيب والعقاب راح يتدحرج في العليقة.».

فوجئت السيدة (دي ريان) وراحت تسأل صوفي، وصوفي تخبرها عن كل ما حصل بينها وبين بول. فهتفت السيدة (دي ريان):

إنه ممتاز بول الصغير! ما أرق قلبه! ما أشجعه وما أطيبه! وأنت يا أبنتي المسكينة. ما أبعد الفرق بينك وبين خالتك! أنظري كيف تنقادين لغضبك، وكيف أنك عاقة بحق هذا الولد الممتاز الذي يسامحك دائما وينسى مظالمك والذي كان اليوم أيضا شهما جدا معك.

صوفي:

آه! نعم، يا أمّي! أنا أعرف كل هذا وفي المستقبل

لن أسخط أبدا على بول.

السيدة (دي ريان):

لن أضيف أي تأنيب ولا أي قصاص على الذي كبدك إياه قلبك. أنت تتألمين لألم بول وهذا قصاصك. وهذا يفيدك أكثر من كل العقوبات التي يمكن أن أنزلها بك.

فضلا عن أنك كنت صادقة! فقد اعترفت بكل شيء في الوقت الذي كنت تستطيعين إخفاء كل شيء. وهذا عمل جيد. وإني أسامحك بسبب صراحتك.

الفصل الخامس عشر
«اليزابت»



ذات يوم، كانت صوفي جالسة في مقعدها الصغير، لا تفعل شيئا وتفكر.

فسألتها أمّها:

«فيم تفكرين؟»

صوفي :

أفكر في (اليزابت شينو)، يا أمّي.

السيدة (دي ريان) :

بأي خصوص تفكرين فيها؟

صوفي :

بشأن خدش كبير لاحظته أمس في ذراعها، فلما سألتها كيف انخدشت احمر وجهها وأخفت ذراعها، ثم قالت لي بصوت منخفض : «أسكتي. هذا ما عاقبت نفسي به». واني أحاول أن أفهم ماذا أرادت أن تعني.

السيدة (دي ريان) :

سأشرحه لك إذا شئت. لأني أنا أيضا لاحظت هذا الخدش : رقد أخبرتني أمها كيف حصل لها. إسمعي جيدا. هذه علامة مميزة في اليزابت.

كانت صوفي متلهفة لسماع القصة. فقربت مقعدها الصغير من أمّها لتسمع أفضل.

السيدة (دي ريان) :

«تعرفين أن اليزابت طيبة جدا، لكنها مع الأسف سريعة الغضب (صوفي خفضت نظرها). يحصل معها عند شدة غضبها أن تصفع خادمتها. ثم تتأسف فيما بعد لأنها تفكر لاحقا بدلا من أن تفكر سابقا. وأول من أمس

كانت تكوي فساتين دميتها وثيابها الداخلية. فوضعت الخادمة المكواة على النار خوفا من أن تحرق اليزابت نفسها. فانزعجت اليزابت لأنها لا تحمي المكواة بنفسها، فخادمتها كانت تمنعها من ذلك. وكلما كانت تحاول وضع المكواة على النار دون إخبار الخادمة كانت الخادمة تمنعها. وأخيرا وجدت اليزابت وسيلة للوصول الى الموقد، وكادت تضع المكواة على النار عندما شاهدتها الخادمة، فجذبت المكواة، وقالت لها: «طالما أنك لا تسمعين كلامي، يا اليزابت، فلن تكوي بعد الآن. سأخذ المكواة وأقفل عليها في الخزانة» فصرخت اليزابت «أريد مكواتي! أريد مكواتي!».

- لا، يا آنسة، لن تحصلي عليها.

فصاحت اليزابت غاضبة: أنت شريرة يا لويز - أعيدي إليّ مكواتي.

أجابت لويز وهي تسحب مفتاح الخزانة: «لن تحصلي عليها. ها هي محجوزة» حاولت اليزابت، وهي ثائرة أن تنتزع المفتاح من يد الخادمة، لكنها لم تتمكن. عندئذ، ومن شدة غضبها خمشت لويز بأظافرها، فانخدش ذراعها وسال منه الدم. عندما شاهدت اليزابت الدم تكدّرت، واعتذرت من لويز،

وراحت تقبّل ذراعها وتغطّسه في المياه. ولويز أمرأة طيبة جدا. عندما وجدت اليزابت مغمومة جدا، طمأنتها إلى أن ذراعها لا تؤلمها.

«لا، ! لا! قالت اليــزابت وهي تبكي. . أستحق أن أتألم كمــا جعلتـك تتألمين. أخـدشي لي ذراعي كمـا خدشت ذراعك كي أتألم كما تتألمين. تعرفين جيدا أن الخـادمـة لم تقبـل أن تفعـل ما طلبته منها اليزابت. فلم تعـد هذه تقـول شيئـا. بقيت هادئـة ما تبقى من النهار، وتـوجهت إلى النوم بكل هدوء. وفي الغد عندما أيقظتها خادمتها من النوم وجدت دمّا على شرشف السرير. ولما نظرت إلى ذراعها وجدته مخموشا بشكل مرعب. فصرخت:

«ما الذي جرحك هكذا يا طفلتي المسكينة؟»

فأجابت اليزابت:

«أنــا نفسي، يا خادمتي. وذلـك كي أعـاقب نفسي على خدشي لك أمس. عندما ذهبت إلى النوم. فكرت أن العــدل يقضي بأن أعــذب نفسي كمــا تتعــذبين، فخمشت ذراعي حتى سال منه الدم».

حنَّ قلب الخـادمـة على اليـزابت فقبلتهـا. ووعدتها

اليــزابت أن تكــون عاقلة في المستقبـل. تفهمين الآن معنى ما قالته لك اليزابت ولماذا أحمرّ وجهها خجلا.

صوفي:

نعم، يا أمي. أفهم جيــدا. فمــا أجمــل ما فعلتـه اليزابت. أعتقد أنها لن تغضب أبدا بعد الآن لأنها تعلم كم أن الغضب سيّىء.

السيدة (دي ريان) مبتسمة:

ألا تفعلين أبدا ما تعرفين أنه سوء؟

صوفي، مضطربة:

لكني أنــا، أصغر منها، يا أمي. عمري أربع سنوات واليزابت عمرها خمس.

السيدة (دي ريان):

ليس هناك فرق كبير. تذكري كيف ثرت، منذ ثمانية أيام، على بول المسكين، الطيب.

صوفي:

صحيـح يا أمي. لكني أعتقـد كذلك أني لن أعيدها ولن أفعل مطلقا ما أعرف أنه عمل سيّىء.

السيدة (دي ريان):

أرجــو ذلــك من أجلك، يا صوفي. ولكن إيــاك أن تعتقدي نفسك أفضل مما أنت في الواقع.

فهذا يسمى تكبرا وتعرفين أن التكبر عيب شائن.
لم تجب صوفي لكنها ابتسمت ابتسامة رضى توحي بأنها سوف تكون بالتأكيد عاقلة دائما.
وسرعان ما صارت صوفي المسكينة ذليلة إذ اسمعوا ما حصل معها بعد يومين.

الفصل السادس عشر
«الفواكه المجففة»



كانت صوفي عائــدة من نزهــة مع بول آبن خالتهـا . فلقيا في رواق البيت رجلا ، يظهر أنه سائق عربة ركاب ، وهو يحمل تحت إبطه صرّة وينتظر. فسأله بول بتهذيب فائق :

ـ من تنتظر يا سيّد؟

الرجل :

أنتظر السيدة (دي ريان) . علي أن أوصل إليها صرّة .

صوفي :

من قبل مَن؟

الرجل :

لا أعلم يا آنسة . جئت بها من العربة وهي مرسلة من باريس .

صوفي :

ولكن ماذا تحتوي الصرة؟

الرجل :

«أظنها فواكة مجفّفة وحلوى المشمش . على أي حال هذا ما هو مسجل في سجل العربة» .

فلمعت عينا صوفي . وأمرّت لسانها على شفتيها . وقالت لبول : «لنذهب بسرعة ونخطر أمي» . وانطلقت تعدو . بعد لحظات وصلت الأم فدفعت أجرة نقل الصرّة وحملتها إلى البهو حيث تبعها بول وصوفي . وقد اندهشا تماما عندما رأيا السيدة (دي ريان) تضع الصرّة على الطاولة وتعود إلى مكتبها للقراءة والكتابة .

فتبادلا النظرات بمظهر تعيس . ثم قالت صوفي لبول

بصوت خافت: أطلب من والدتي أن تفتح العلبة.

بول بصوت خافت:

لا أجرؤ. فخالتي لا تحب أن نكون متلهفين وفضوليين.

صوفي بصوت خافت:

أطلب إليها إذا كانت تقبل أن نوفر عليها عناء فتحها فنفتحها نحن بأنفسنا.

الأمّ:

أنا أسمع جيدا ما تقولان. إسمعي يا صوفي. إنه لمن الخطأ التضليل والتظاهر بأنك صاحبة فضل في عدم إزعاجي، عندما يكون الواقع أنك تريدين فتح هذه الصرة بسبب فضوليتك وشراهتك. لو قلت لي بصراحة:

« يا أمّي. أرغب في رؤية الفواكة المجففة. اسمحي لي بفتح العلبة.» لكنت سمحت لك. أما الآن فاني أمنعك من أن تلمسيها.

اضطربت صوفي واستاءت فانسحبت إلى غرفتها، ولحقها بول، قائلا لها:

«أنظري كيف تكون عاقبة التذاكي. أنت دائما تتصرفين هكذا، وتعرفين أن خالتي تكره الرياء.

صوفي :

وأنت أيضا، عندما كلفتك، لماذا لم تطلب ذلك منها حالا؟ تريد أن تدعي الرزانة ولا ترتكب الاّ الحماقات.

بول :

أولا، أنا لا أرتكب الحماقات. ثم إني لا أدعي الرزانة. أنت تقولين ذلك لأنك غاضبة بسبب عدم حصولك على الفواكة المجفّفة.

صوفي :

أبدا، يا سيد. أنا لست غاضبة إلا منك، لأنك دائما تتسبب في توبيخي.

بول :

حتى يوم خمشتني بقساوة.

احمر وجه صوفي خجلا وسكتت. ومكثا فترة لا يتحادثان. كانت صوفي تود أن تستميح بول عذرا، لكن كبرياءها منعتها من المبادرة في الكلام. أما بول الطيب جدا فلم يكن حاقدا على صوفي. لكنه ما كان يعرف ما العمل لمعاودة الحوار. وأخيرا وجد وسيلة ماهرة جدا. تأرجح على كرسيه، ومال كثيرا الى الوراء حتى وقع. فأسرعت صوفي لمعاونته على النهوض. وهي تقول له:

«هل تأذيت، يا عزيزي بول؟» .
بول :
لا ، بالعكس .
صوفي ضاحكة :
ها! بالعكس . هذا شيء طريف للغاية .
بول :

أجل ، لأني بسقوطي أنهيت خصامنا .
صوفي وهي تعانقه :
يا بولي الطيب! كم أنت صالح ! وقعت إذاً عن قصد؟ كان بالامكان أن تتأذى .
بول :
لا ! كيف يمكن أن أتأذى بالوقوع عن كرسي واطىء جدا . والآن طالما نحن متصادقان ، فلنذهب الى البهو.
وانطلقا عدوا . وعندما كانا يجتازان بهو الدار شاهدا الصرّة ما تزال مربوطة . فرغبت صوفي في التوقف فجرها بول ولم يعودا يفكران في الصرّة .
بعد العشاء ، نادت السيدة (دي ريان) الولدين . قالت لهما :
«أخيرا سنفتح الصرّة الشهيرة ونتذوّق ثمارها

المجففة. إذهب يا بول واجلب لي سكينا لقطع الخيوط.» ذهب بول بسرعة البرق ثم عاد في اللحظة ذاتها حاملا سكينا وقدمه لخالته.

قطعت السيدة (دي ريان) الخيوط ونزعت الأوراق التي كانت تغطي الثمار فاكتشفت اثنتي عشرة علبة من الثمار المجففة مع حلوى المشمش. فقالت وهي تفتح إحدى العلب:

«لنذقها كي نرى إذا كانت طيبة. خذي اثنتين يا صوفي. إختاري ما تستطيبينه أكثر. يوجد أجّاص، وخوخ، وجوز، ومشمش، وكبّاد، ومربى الزهر».

ترددت صوفي قليلا. كانت تتفحص أيها الكبيرة. ثم قررت اختيار أجاصة ومشمشة.

واختار بول خوخة ومربى الزهر. وعندما اختار كلّ حصته أقفلت الوالدة العلبة، وهي نصف مملؤة، وحملتها إلى غرفتها ووضعتها فوق رفّ. وكانت صوفي تتبعها حتى الباب.

عندما رجعت السيدة (دي ريان) قالت لصوفي وبول إنها لا تستطيع أن تأخذهما في نزهة، لأنها مضطرة للقيام بزيارة في الجوار. وأضافت: «إلعبا في أثناء غيابي. قوما بنزهة أو ابقيا في البيت، كما تشاءان». ثم

قبلتهما وركبت عربة مع السيدة (دوبير) والسيد (دي ريان).

بقي الولدان وحيدين، ولعبا طويلا أمام المنزل. كانت صوفي في أغلب الوقت تتحدث عن الثمار المجفّفة. فقالت:

«أنا مستاءة لأني لم أختر من مربى الزهر ولا من الخوخ. يجب أن يكونا لذيذين جدا.

ـ أجل، إنهما لذيذان جدا، قال بول. ولكن يمكنك أن تأكلي منهما غدا. لذلك، لا تفكري فيهما الآن، صدقيني، ولنلعب».

استأنفا لعبتهما التي كانت من اختراع بول. كانا قد حفرا حوضا لملئه بالمياه. وكانا مضطرين لنقل المياه إليه باستمرار لأنهما بقدر ما كانا يصبان مياها كان التراب يمتصها. أخيرا، زلق بول على الوحل وأوقع المرشّة لملأى بالمياه على ساقيه. فصاح:

«اي! اي. ما أبردها! لقد تبللت. يجب أن أذهب لتبديل حذائي وجواربي، وبنطلوني. إنتظريني هنا. سأعود بعد ربع ساعة».

بقيت صوفي قرب الحوض وهي تربت على المياه برفشها الصغير ولكن دون أن تفكر لا في المياه، لا في

الـرفش، ولا في بول. بمَ كانت تفكـر إذاً؟ مع الأسف كانت صوفي تفكـر في الثمـار المجففـة وفي مربى الزهر وفي الخـوخ. كانت متأسفـة لأنهـا لا تستطيـع أن تأكـل مزيدا منها، و لأنها لم تذقها كلها، فقالت:

«غــدا سوف تعطيني أمّي مزيــدا منهـا. ولن يكـون عنـدي الوقت الكافي للاختيار الجيد. فلو كنت أستطيع أن أشاهدها سلفا، لحددت ما يمكن أن أختاره غدا. ثم لماذا لا يمكنني أن أنظر اليها؟ فليس عليّ إلا أن أفتح العلبة.».

وهـا هي صوفي وقد سرت جدا بفكرتها، تركض إلى غرفة والدتها، وتحاول الوصول إلى العلبة. لكنها راحت تنـط وتمـد ذراعها دون جدوى. لم تستطع بلوغ العلبة، ولا تعـرف ماذا تفعـل. جلبت قضيبـا، وملقطا، وكل ما توصـلت إليــه يدهــا دون جدوى. ضربت يدهــا على جبينها، وقالت:

«ما أغباني! سأقرّب مقعدا وأصعد عليه!».

جرّت صوفي مقعـدا ثقيـلا ودفعتـه إلى جانب الـرفّ وصعـدت عليـه، فطـالت العلبـة وفتحتها ونظرت بشهوة إلى الفـواكـة المجففـة الشهيـة. وقـالت: أيها سأختاره غدا؟ «ولم تستطـع أن تقـرر. فمرة تختار هذا ومرة تختار

ذاك. غير أن الوقت كان يمر، وكاد بول أن يعود. ففكرت:

«ماذا سيقول إذا ما رآني هنا؟ سيظن أني أسرق الثمار المجففة مع أني لا أقوم إلا بالنظر إليها. عندي فكرة جيدة.. لو أقضم قطعة صغيرة جدا من كل ثمرة، إذاً سأعرف طعم كل منها، وأتبين أيها الأفضل. ولن يلاحظ أحد شيئا لأني سأقرض منها شيئا زهيدا لا يلفت النظر».

وقضمت صوفي قطعة مربى الزهر، ثم قطعة مشمش، فخوخة فجوزة، فاجاصة فكبّادة. لكنها ظلت عاجزة عن القرار أكثر من السابق. فقالت:

«يجب أن أعيد الكرة».

وعادت ثانية إلى القضم، فكررت ذلك عدة مرات حتى ما بقي في العلبة شيء تقريبا. وعندما انتبهت أخيرا تملكها الخوف. فقالت: «يا إلهي! ماذا فعلت؟ لم أكن أقصد إلا أن أذوق طعمها وها أنا قد أكلتها كلها تقريبا. ستلاحظ أمّي ذلك ما أن تفتح العلبة. وستحزر أنه شغلي. ما العمل؟ ما العمل؟ قد أستطيع الانكار. لكن والدتي لن تصدقني.. لم لا أقول إنها الفئران؟ وبالفعل، قد شاهدت هذا الصباح فئرانا تركض في الممشى. سأقول ذلك لأمّي إنما سأقول إنه كان جرذا،

لأن الجرذ أضخم من فأرة ويأكل أكثر منها. وبما أني قد أكلت كل شيء تقريبا، فمن الافضل أن يكون جرذا لا فأرة».

ابتهجت صوفي بفكرتها. فأغلقت العلبة وأعادتها إلى مكانها ونزلت عن المقعد. ثم عادت إلى الحديقة ركضا، ولما يسمح لها الوقت بتناول رفشها حتى عاد بول وقال:

«تغيّبت طويلا. أليس كذلك؟ ذاك أني ما وجدت حذائي. أخذه (باتيست) ليدهنه. فبحثت في كل مكان قبل أن أساله عنه. وأنت ماذا فعلت في غيابي؟

صوفي:

لا شيء البتّة. كنت أنتظرك وألعب بالماء.

بول..

لكنك تركت الحوض يفرغ. لم يعد فيه شيء. أعطيني رفشك، كي أرصّ القعر قليلا فيصبح أكثر صلابة. واذهبي في هذا الوقت لاستقاء الماء من السطل الخشبي.

راحت صوفي تستقي ماء بينما كان بول يشتغل في الحوض. وعندما رجعت، أعاد لها بول الرفش، وقال:

رفشك مدبقة كلها. تلصق بالاصابع. ماذا وضعت

عليها؟ أجابت صوفي :

لا شيء، لا شيء. لا أعرف لماذا تدبق.

وغمست صوفي يديهـا عميقـا في المـرشـة الملأى بالمياه لأنها انتبهت أنهما تدبقان.

فسألها بول :

لماذا تغمسين يديك في المرشة؟

صوفي مرتبكة :

لأرى إذا كانت المياه باردة.

بول ضاحكا :

أي منظـر غريب يبـدو عليك منـذ ما رجعت! يظن الواحد أنك ارتكبت عملا سيئا.

صوفي مضطربة :

ايّ سوء تريد أن أكون قد ارتكبت؟ ليس عليك سوى أن تتحقق. فلن ترى أي سوء. لا أعرف لماذا تقول إني ارتكبت سوءا. فأفكارك دائما هي مثيرة للسخرية.

بول :

كم اغتظت! إني أمـزح معـك. وأؤكـد لك أني لا أعـتـقـد بأي عمـل سيىء يحصـل من قبلك. ولست محتاجة للنظر إليّ هكذا بعين الغضب.

هزّت صوفي كتفيهـا، وتناولت مرشتها وسكبت المياه

في الحوض الذي سربها إلى الرمل. واستمر لعب الولدين هكذا حتى الساعة الثامنة. فجاءت الخادمتان تبحثان عنهما لتعيداهما إلى البيت. كانت ساعة النوم قد حانت.

كانت صوفي في تلك الليلة مضطربة. فحلمت أنها كانت قرب بستان يفصل بينها وبينه حاجز. وكان هذا البستان زاخرا بالزهر والثمار التي تبدو شهيّة. وكانت تبحث عن وسيلة للدخول إليه، فجاء ملاك وشدّ بها إلى الوراء وهو يقول لها بصوت حزين: «لا تدخلي، يا صوفي. ولا تأكلي من هذه الثمار التي تبدو لك طيبة جدا بينما هي مرّة وسامة. لا تشمّي هذه الأزهار التي تبدو جميلة جدا لأنها تفوح برائحة نتنة وسامة. هذا البستان هو بستان الشرّ. دعيني آخذك إلى بستان الخير.

ـ قالت صوفي: لكن الدرب للوصول إليه وعر، تتراكم فيه الحجارة. بينما الطريق الآخر مغطى بالرمل الناعم، ويسهل السير فيه.

ـ نعم، قال الملاك، لكن الدرب الوعر يقودك إلى بستان الأطايب والدرب الآخر يقودك إلى مكان العذاب والحزن حيث كل شيء فيه عاطل والمخلوقات التي تسكنه هي شريرة وفظّة. وبدل أن تؤاسيك، تهزأ

بعذاباتك وتزيدها عذابا» .

ترددت صوفي . كانت تنظر إلى البستان الجميل الزاخر بالزهر والثمر، إلى الممرات المرملة والظليلة . ثم سرّحت نظرها على الدرب الوعر والقاحل الذي يظهر بدون نهاية ، وقفلت راجعة صوب الحاجز الذي انفتح أمامها . فأفلتت يديها من ملاكها الصالح ودخلت البستان .

صرخ فيها الملاك : «عودي ، يا صوفي ، عودي . سأنتظرك عند الحاجز. سوف أنتظرك هناك حتى نهاية عمرك ، فاذا ما عدت إليّ يوما أقودك إلى بستان الأطايب ، على الدرب الوعر الذي سوف يسهل ويتحسّن كلما توغلت فيه» . لم تسمع صوفي صوت ملاكها الصالح . وكان أولاد ظرفاء يومئون لها بالتقدم . فركضت نحوهم ، فأحاطوا بها وهم يضحكون . راح بعضهم يقرصها ، والبعض الآخر يتجاذبها ويذر الرمل في عينيها .

تخلصت صوفي منهم بمشقّة . وعندما ابتعدت قطفت زهرة مظهرها رائع ، فشمتها ورمتها بعيدة منها . كانت رائحتها كريهة وتابعت تقدمها فرأت الأشجار مثقلة بأجمل الثمار فقطفت ثمرة وذاقتها . لكنها رمتها بأكثر

هول من الزهرة. كان طعمها مرّا ومقرفا. فتكدرت صوفي قليلا، وتابعت نزهتها. خدعت في كلّ مكان، كما حصل مع الثمر والزهر. عندما مكثت بعض الوقت في هذا البستان حيث كان كلّ شيء سيئا فكرت في ملاكها الصالح. ورغم وعود الأطفال الشريرين وأصواتهم ركضت نحو الحاجز، ولمحت ملاكها الصالح مادا لها ذراعيه. دفعت الأطفال الأشرار عنها وارتمت بين ذراعي الملاك الذي قادها في الدرب الوعر. بدت لها الخطوات الأولى صعبة، ولكن كلما تقدمت صار الدرب أسهل، والمكان أبرد وأمتع. كانت ستدخل بستان الخير، عندما أفاقت من نومها مضطربة ومبللة بالعرق. فكرت طويلا بهذا الحلم وقالت لنفسها:

«يجب أن أطلب من أمّي أن تفسره لي» ثم عادت إلى النوم حتى صباح الغد. عندما قصدت أمها، وجدت وجهها عابسا قليلا. لكن الحلم أنساها الفواكة المجفّفة، وبدأت فورا باخبارها الحلم.

«أتعرفين ما يعني حلمك يا صوفي: ذاك أن الله تعالى الذي يرى أنك غير عاقلة، ينبهك بواسطة هذا الحلم إلى أنك لو تابعت ارتكاب السيئات التي تبدو لك ممتعة سوف تحصلين على الأحزان بدل المسرات. هذا

البستان المخادع هو جهنم. وبستان الخير هو الفردوس. نصل إليه عن طريق وعر، أي بحرمان أنفسنا الأشياء الممتعة والتي هي محرّمة. والدرب يصبح أسهل كلما مشينا فيه. أي من فرط ما نكون مطيعين، وطيبين، وصالحين، نعتاد الخير، فلا يعود صعبا علينا الطاعة والصلاح. ولا نعود نتعذّب من الامتناع عن الاستسلام إلى كل الشهوات».

اضطربت صوفي في مقعدها. إحمرّ وجهها وراحت تنظر إلى أمّها. كانت ترغب في الكلام، لكنها ما كانت تستطيع.

لاحظت السيدة (دي ريان) اضطراب صوفي فساعدتها وقالت لها:

«ترغبين في الاعتراف بشيء ما، يا صوفي، ولا تجرؤين على البوح به. لأن الاعتراف بالخطأ هو دائما صعب. وهذا بالضبط هو الدرب الوعر الذي دعاك إليه ملاكك الصالح وهذا ما يخيفك. هيا، يا صوفي، أنصتي إلى ملاكك الصالح واقفزي بشجاعة بين حجارة الدرب الذي يعيّنه لك.».

ازداد احمرار وجه صوفي، وأخفت رأسها بين يديها وباحت لأمّها بصوت متهدّج أنها أكلت في العشية علبة

الفواكة المجففة كلها تقريبا.

السيدة (دي ريان):

وكيف كنت تتوقعين إخفاء ذلك عني؟

صوفي:

كنت سأقول لك، يا أمّي، إن الجرذان هي التي أكلتها.

السيدة (دي ريان):

ما كنت صدّقت، كما تعرفين. لأن الجرذان لا تستطيع رفع غطاء العلبة ثم غلقه. وإن الجرذان كانت بدأت بتمزيق العلبة والتهامها قبل أن تصل إلى الفواكة المجففة. بالاضافة إلى ذلك ما كانت الجرذان بحاجة لتقريب المقعد كي تطول الرفّ.

صوفي، مفاجأة:

كيق؟ شاهدت أني جررت المقعد: !

السيدة (دي ريان):

بما أنك نسيت أن تعيديه إلى مكانه، فهو أول شيء شاهدته أمس، وأنا عائدة إلى البيت. فعرفت أنك أنت الفاعلة. وخاصة بعد أن نظرت إلى العلبة ووجدتها فارغة تقريبا. ترين كيف أنك فعلت الصواب عندما اعترفت لي بخطأك. وما كانت أكاذيبك إلا لتزيد

الخطأ، ولكـانت سببت لك عقابا أكثر قساوة. وكي أكافىء الجهد الذي قمت به فاعترفت بكل شيء، سينحصر عقابك فقط بعدم أكل فواكة مجففة طالما بقي لنا منها.

قبّلت صوفي يد أمّها التي عانقتها. ثم قفلت إلى غرفتها حيث كان بول ينتظرها للغداء.

بول:

ما بك يا صوفي؟ عيناك محمرتان.

صوفي:

لقد بكيت.

بول:

لماذا؟ هل وبخّتك خالتي؟

صوفي:

لا، لكني كنت مخجولة من الاعتراف لها بخطأ ارتكبته أمس.

بول:

أي خطأ ارتكبت؟ أنا، لم ألاحظ شيئا.

صوفي:

لأني تخبأت منك».

وقصّت صوفي على بول كيف أكلت علبة الفواكة المجففة بعد أن كانت تقصد فقط النظر إليها واختيار أفضلها لتأكله في الغد.

مدح بول صوفي بقوة، لأنها اعترفت بكل شيء لأمها. وقال لها: من أين جاءتك هذه الشجاعة؟.

عندئذ أخبرته صوفي حلمها وكيف فسرته لها أمّها. ومنذ ذلك اليوم راح بول وصوفي يتحدثان غالبا عن هذا الحلم الذي ساعدهما كي يصبحا طائعين وصالحين.

الفصل السابع عشر
«الهر والدغناش»



ذات يوم، كان بول وصوفي يتنزهان مع الخادمة. وكانا عائدين من عند امرأة فقيرة كانا قد حملا إليها بعض المال، وهما يسيران متمهلين تارة يتوقفان لقطف أزهار، وطورا لتسلق شجرة، أو كانا يجتازان السياج ليختبئا في الأدغال. وفيما كانت صوفي مختبئة، وبول يبحث

* عصفور رأسه أسود وكذلك جناحاه ظهره رمادي وصدره وردي.

عنهـا، سمعت مواء خفيضـا جدا ونـائمـا. فخـافت وخـرجت من مخبأهـا وقـالت لبـول: لنناد خادمتي. سمعت بالقرب مني في الدغل صوتا خافتا كأنه مواء هر.

بول:

لماذا يجب استدعاء خادمتك من أجل هذا؟ لنذهب بأنفسنا ونرَ ماذا يكون.

صوفي:

آه، لا! إني خائفة.

بول ضاحكا:

خائفـة! ممَّ؟ فأنت بنفسك تقـولين إنـه كان صوتـا خفيضا. فلا يمكن إذاً أن يكون حيوانا ضخما.

صوفي:

لا أعرف. قد يكون حيّة، أو جرو ذئب.

بول ضاحكا:

ها! ها! ها! حيّـة تصـرخ! هذا جديـد! وجـرو ذئب يصـدر صوتـا خفيضـا ولم أسمعه أنا، مع أني كنت قريبا جدا منك.

صوفي:

«ها هو الصوت نفسه! هل تسمع».

أنصت بول وسمـع فعـلا مواء خفيضـا يصـدر من

الدغل. فخف إليه رغم توسلات صوفي.

وبعـد أن فتّش عدة لحظـات، صرخ: «إنه هرّ صغير ومسكين ويظهر أنه مريض. تعالي وأنظري كم يبدو تعيسا».

ركضت صوفي فشـاهدت هرا صغيرا، أبيض اللون، مبللا بالنـدى وملطخـا بالوحل. وكان ممدّدا بالقرب من المكان الذي كانت صوفي مختبئة فيه.

قالت صوفي: يجب استـدعاء خادمتي لتحمله. كم يرتجف هذا المسكين! وقال بول: وكم هو هزيل!

ناديـا الخـادمـة التي كانت تتبعهما عن بعد. وعندما أدركتهما دلاها على الهر الصغير وطلبا منها أن تحمله.

الخادمة:

«ولكن كيف العمل لحمله؟ هذا التعيس مبلّل جدا، ووسخ جدا، فلا أستطيع أن أحمله بين يدي.

صوفي:

إذاً يا خادمتي، ضعيه في أوراق.

بول:

أو في منديلي. سيرتاح أكثر.

صوفي:

هو هكـذا! فلننشّفه بمنديلي، ولنمدده في منديلك.

فتحمله خادمتي».

ساعدتهما الخادمة لترتيب الهر الصغير الذي لم يكن يملك القوة للتحرك. وعندما لُفَّ جيدا بالمنديل، أخذته الخادمة، وأسرع الجميع للوصول إلى البيت وإعطائه حليبا ساخنا.

ولم يكونوا بعيدين عن البيت فوصلوا بسرعة. خفّ بول وصوفي إلى المطبخ. فقالت صوفي للطباخة (جان):

«أعطينا بسرعة فنجان حليب ساخن. فأجاب (جان).

ـ ماذا ستفعلين به، يا آنسة؟

ـ لنقدمه إلى هرّ مسكين وجدناه في عليقة وهو يكاد يموت جوعا. ها هو. خادمتي تحمله في منديل.».

وضعت الخادمة المنديل على الأرض. وجلبت الطباخة ملء صحن حليبا ساخنا للهر الصغير الذي ارتمى فوقه ولعقه كله دون أن يبقى على نقطة واحدة.

فقالت الخادمة:

« اعتقد أنه مسرور. لقد شرب أكثر من كوبي حليب.

صوفي :

آه ها هو ينهض! إنه يلحس وبره! .

بول :

لو ننقله إلى غرفتنا؟

الطباخة .

أنا أنصحكما، يا سيدي ويا آنستي، أن تتركاه في المطبخ . فهو أولا يجف أفضل فوق الرماد الحار، وبالتالي سيتوفر له الطعام هنا بقدر ما يستطيع . وأخيرا يستطيع هنا أن يخرج ساعة يضطر، فيتعلم عندئذ أن يكون نظيفا .

بول :

صحيح . فلنتركه في المطبخ ، يا صوفي .

صوفي :

لكنه سيظل دائما لنا . وسأراه ما شئت ذلك .

الطباخة .

بالطبع ، يا آنسة . سترينه عندما تشائين . وسيكون لك في كل حال!

ثم أخذت الهر ووضعته على الرماد الساخن تحت الفرن . تركه الولد؟ان ينام وأوصيا الخادمة.أن تضع له حليبا بقربه كي يستطيع أن يلعق منه كلما أحسّ

بالجوع .

صوفي :

ماذا سنسمي هذا الهر؟

بول :

لنسمه! شيزى! أي (عزين) .

صوفي :

آه، لا! هذا اسم عادي . بل نسميه (شارمان) أي (فاتن) .

بول :

وإذا أصبح بشعا عندما يكبر ؟

صوفي :

صحيح . ماذا نسميه إذاً؟ ومع ذلك يجب أن يكون له اسم .

بول :

أتعرفين ما قد يكون اسما جميلا جدا؟ (بو ـ مينون) .

صوفي :

آه! أجل! كما في قصة (بلوندين) . صحيح . لنسمّه (بو ـ مينون) . سأطلب من أمّي أن تصنع له طوقا صغيرا وأن تكون زخرفته على الدائر: باسم (بو ـ مينون) .

وركض الولدان إلى السيدة (دي ريان) ليخبراها قصة الهر الصغير وليطلبا منها طوقا. فذهبت الوالدة لتشاهد الهر وأخذت مقياس عنقه. ثم قالت:

«لا أعرف إذا كان هذا الهر المسكين سيستطيع العيش. إنه ضامر جدا وهزيل جدا وهو يكاد لا يستطيع الوقوف على قوائمه.

بول:.

ولكن كيف وصل إلى العلّيقة؟ فالهررة لا تعيش في الأحراج.

السيدة (دي ريان):

قد يكون الأولاد الأشرار حملوه ليلعبوا به. ثم رموه في العلّيقة، وهم يفكرون أنه يستطيع العودة وحده الى البيت.

صوفي:

ولماذا إذاً لم يعد؟ فان كان تعيسا فهذه غلطته.

السيدة (دي ريان):

أنه صغير جدا فلم يتمكن من الاهتداء ثانية إلى طريقه. ثم إنه قد يكون آتيا من مكان بعيد. فاذا استصحبك رجال أشرار بعيدا جدا، ثم تركوك في طرف الغابة، فماذا تفعلين؟ أتعتقدين أنك قد تجدين طريقك

من تلقاء نفسك؟

صوفي :

آه؟ لن أرتبك. سوف أمشي وأمشي حتى ألتقي أحدا أو أجد بيتا. عندئذ أعّرف عن نفسي وأطلب إرجاعي.

الأم :

اولا، قد تلتقين أناسا اشرارا لا يريدون أن ينزعجوا في ترك طريقهم أو عملهم لارجاعك.

ومن ثم، أنت تستطيعين الكلام فيفهمونك! لكن الهر المسكين، أتعتقدين أنه لو دخل بيتا لكانوا فهموا ماذا يريد، أم كان بقي هناك؟ قد يطرد، أو يضرب، وقد يقتل ايضا.

صوفي :

لكن، لماذا دخل هذا الدغل كي يموت فيه من الجوع؟

السيدة (دي ريان) :

قد يكون الصبيان الأشرار رموه هناك بعد أن ضربوه. على كل حال لم يكن مخطئا كثيرا عندما بقي هناك، طالما مررتما بالقرب منه وأنقذتماه.

بول :

أما بهذا الخصوص، يا خالتي، فلم يكن بامكانه

التنبؤ بأننا سنمرّ من هناك.
السيدة (دي ريان):
هو، لا، بل الله تعالى، الذي يعلم كل شيء، قد سمح بذلك وأتاح لكما المناسبة لتكونا محسنين حتى مع حيوان.».
فلم يضف بول ولا صوفي شيئا لأنهما كانا متلهفين لمشاهدة هرهما من جديد. فعادا إلى المطبخ حيث وجدا (بو - مينون) يغطّ في نوم عميق على الرماد الدافىء. وكانت الطبّاخة قد وضعت بالقرب منه قصعة حليب. فلم يكن بالامكان فعل شيء بالقرب منه، فراح الولدان يلعبان في حديقتهما الصغيرة.
لم يمت (بو - مينون): وخلال بضعة أيام صار قويا، في صحة جيدة، وفرحا. وكلما كبر ازداد جمالا. وبره الأبيض الطويل كان ناعما كالحرير. عيناه السوداوان الكبيرتان كانتا تلمعان كالشمس. أنفه الوردي كان يعطيه منظرا لطيفا وطفوليا.
كان هرا أنقرّيا حقيقيا، من أفضل الأنواع. كانت صوفي تحبّه كثيرا. وبول الذي غالبا ما كان يجيء لقضاء بضعة أيام عند صوفي، كان يحبّه أيضا. كان (بو - منيون) أسعد الهررة. كان له سيئة واحدة تحزن

صوفي : كان فظّا مع العصافير. فما أن يصير في الخارج حتى يتسلق الأشجـار للبحث عن الأعشـاش، وأكـل الفراخ الموجودة فيها.

وأحيـانا كان يأكل أمّات العصافير التي تحاول الدفاع عن فراخهـا ضد (بـو - مينـون) الشـرير. عندما كان بول وصـوفي يشـاهـدانـه يتسلّق الأشجـار كانـا يفعـلان ما يستطيعـان لكي ينـزلاه، لكن (بـو - مينـون) ما كان يطيعهمـا، ويستمـر رغم ذلـك في التسلق وأكـل فراخ العصافير. وكنت تسمع عندئذ أصواتا نائحة : كويك كويك.

وعنـدمـا كان (بـو - مينـون) ينزل من الشجرة، كانت صوفي تضربه عدة ضربات بالقضيب، لكنه وجد وسيلة لتحـاشي هذه الضـربات بالمكوث طويلا جدا في أعلى الشجـرة حيث لا تستطيـع صوفي أن تصـل إليه. وأحيانا أخـرى عنـدمـا كان يصـل إلى منتصف الشجـرة، كان يثب، ويقفـز على الأرض ويتملص هاربـا بسـرعة البرق قبل أن تتمكن صوفي من القبض عليه.

وكان الولدان يقولان له : «خذ حذرك، يا (بو - مينون) فالله تعـالى سيعـاقبـك على أذيتك. وستحّل بك مصيبة في يوم من الأيام».

(بو- مينون) لم يكن يسمع نصائحهما.

وذات يوم، وضعت السيدة (دي ريان) في البهو عصفورا رائعا في قفص مذهّب جميل. وقالت للطفلين:

«أنظرا ما أجمل الدغناش الذي أرسله إليّ أحد أصدقائي. إنه يغني بمنتهى الاتقان.

بول وصوفي معا:

آه! كم نرغب في سماعه!

السيدة (دي ريان):

سأجعله يغني. ولكن لا تقتربا كثيرا لئلا يخاف..

وراحت السيدة (دي ريان) تخاطب الدغناش: «نونو غن يا صديقي! غن، نونو.. غن».

فأخذ الدغناش يتأرجح، يحني رأسه إلى اليمين وإلى اليسار، ثم بدأ يصفر لحنا يشبه لحن أغنية «بيبي يا بياع الورد» وعندما انتهى، صفر لحن: «طلعت يا محلا-نورها..»..

كان الطفلان يستمعان إليه دون حراك. وبالجهد كانا يتنفسان كي لا يخيفا الدغناش. وعندما أنهى غناءه صاح بول:

«آه! يا خالتي، كم يغني جيدا! ما أجمل هذا

الصوت الناعم! أود أن أستمع إليه دائما!

قالت السيدة (دي ريان):

سنجعله يعاود الغناء بعد العشاء. إنه متعب الآن لأنه واصل من سفر. فلنضع له طعاما. إذهبا إلى البستان، يا ولديّ، واجلبا له لبيّنًا وسلقا. سيدلكما البستاني أين تجداهما».

أسرع الولدان إلى بستان الخضر وحملا كمية كبيرة من اللّبين يمكنها أن تغطي القفص كله. فقالت لهما الوالدة أن يقطفا في المرة القادمة قبضة صغيرة. ثم وضعا بعضا منها في قفص الدغناش فبدأ حالا ينقدها.

قالت (السيدة دي ريان):

«لنذهب الآن إلى العشاء، يا ولدي. أبواكما ينتظراننا».

بعد العشاء طال الحديث عن الدغناش الجميل.

قالت صوفي:

«ما أجمل رأسه الأسود.

وقال بول: وما أجمل بطنه الأحمر!

وقالت السيدة (دي ريان): كم يغني جيدا.

وقال السيد (دي ريان): يجب حمله على أن يغني

* نوعان من الخضر

كل ألحانه».

وحالا بعد العشاء، عاد الجميع إلى البهو. وكان الولدان قد سبقا الجميع . وفي الوقت الذي دخلا فيه البهو، سمعتهما السيدة (دي ريان) يطلقان صرخة رهيبة. فهرعت اليهما، فوجدتهما مسمّرين في مكانهما خوفا، وهما يشيران باصبعهما الى قفص الدغناش. ومن هذا القفص الذي تلوّت فيه قضبان كثيرة وتكسّرت يقفز (بو-مينون) إلى الأرض وهو يقبض بين فكيه على الدغناش المسكين.

والدغناش يصفق بجناحيه. صاحت السيدة (دي ريان) بدورها، وهجمت على (بو-مينون) لتجعله يفلت العصفور. أما السيد (دي ريان) الذي كان داخلا في هذه الأثناء، فتناول ملقطا وحاول أن يضرب به (بو-مينون). لكن الهر الذي كان مستعدا للهرب، وثب إلى الباب الذي كان مفتوحا. فلحق به السيد (دي ريان) من غرفة إلى غرفة، ومن ممشى إلى ممشى. وكان العصفور المسكين، قد توقف عن الصراخ والتخبط. أخيرا تمكن السيد (دي ريان) من ضرب (بو-مينون) بملقطه. كانت الضربة قوية جدا فانفتح شدقا الهر وترك العصفور يفلت. وبينما كان الدغناش يسقط في جانب كان الهر

يسقــط في الجــانب الآخــر. اختلج خلجتين أو ثلاثـا وسكن. كان الملقط قد أصاب رأسه. وكان قد نفق.

أمــا السيــدة (دي ريـان) والـولـدان، الـذين كانـوا يركضون وراء السيد (دي ريان) ووراء الهر، والدغناش، فقد وصلوا عند اخر خلجة لبو مينون.

فصاحت صوفي:

«بو مينون! عزيزي بو مينون!».

وصرخ بول:

الدغناش - الدغناش المسكين.

وصاحت السيدة (دي ريان):

ماذا فعلت يا عزيزي.

أجاب السيد (دي ريان):

لقد عاقبت المذنب، لكني لم أستطع إنقاذ البريء.

مات الـدغنـاش خنقا. خنقه (بو- مينون) الذي لن يقتل أحدا بعد الآن، لأني قتلته دون أن أقصد ذلك.

لم تجرؤ صوفي على قول شيء، لكنها بكت بحرارة هرها المسكين الذي كانت تحبه رغم عيوبه.

ثم قالت لبول:

«لقـد قلت لك بصـراحـة إن الله تعالى سيعاقبه على أذيتـه للعصـافيـر. أسف، يا (بو- مينون) المسكين! ها أنت الآن ميت، وبسبب غلطتك!»

الفصل الثامن عشر
«علبة الأشغال»



عنـدمـا كانت صوفي ترغب في شيء كانت تطلبه من أمهـا. فاذا رفضت، كانت صوفي تكـرر الطلب أكثر من مرّة، حتى تنزعج منها الأم وترسلها إلى غرفتها. عندئذ، بدل أن تنسى التفكيـر في هذا الطلب كانت تفكـر فيـه دائمـا وتقـول: «كيف العمل لأحصل على ما أبغي؟ فأنا

راغبة فيه كثيرا. يجب أن أحاول الحصول عليه».

وغالبا ما كانت في محاولتها الحصول على شيء تسبب لنفسها عقابا. لكنها ما كانت تقلع عن خطاها.

وذات يوم نادتها أمها لتعرض عليها علبة أشغال جميلة كان أرسلها السيد (دي ريان) من باريس. كانت العلبة مطعّمة بالصدف والذهب. وكان داخلها مبطّنا بالمخمل الأزرق. كانت تحتوي على كل ما يلزم للشغل، وكله كان من ذهب. كان فيها كشتبان، ومقص، ومئبرة، ومخرز، وبكر وسكين، وسكينة جيب، وشناكل صغيرة، ومفكّ. وفي خانة ثانية كانت توجد علبة إبر، وعلبة دبابيس مذهّبة، وعدة قطع من الحرير من جميع الألوان، وخيوط من أحجام مختلفة، وأشرطة مبرومة، وشرائط حرير. الخ. فهتفت صوفي لدى رؤية جمال العلبة قائلة:

«ما أجمل كل هذه الأشياء. وكم هو مؤاتٍ أن يكون لك كل ما تحتاجه للشغل». ثم أضافت وهي تبتسم: «لمن هذه العلبة يا أمّي؟» كما لو أنها كانت متأكدة من أن أمّها ستجيبها: إنها لك.

ـ لقد أرسلها لي والدك، أجابت السيدة (دي ريان).

صوفي :

يا للأسف. كنت أرغب في الحصول عليها.

السيدة (دي ريان) :

أنـا أشكـرك أذاً ! لقد غضبت لكوني أنا المالكة هذه العلبة الجميلة! وهذا من الأنانية!

صوفي :

أوه، يا أمّي. أرجوك أن تعطيني إياها.

السيدة (دي ريان) :

أنت حتى الآن لا تشتغلين بالابرة جيدا كي يكون لك مثل هذه العلبة الجميلة. بالاضافة إلى أنك غير منظّمة. لا ترتّبين شيئا وقد تضيعّين أغراضك الواحد بعد الآخر.

صوفي :

لا، يا أمّي ! اؤكد لك بأني سوف أعتني بها جيدا.

السيدة (دي ريان) :

لا يا صوفي، لا تفكري فيها. أنت صغيرة جدا.

صوفي :

لقد بدأت أشتغل جيدا، يا أمي، وأحب الشغل كثيرا.

السيدة (دي ريان) :

حقا؟ ولماذا تغتّمين جدا كلما ألزمك بالشغل.

صوفي مرتبكة :

هذا . . هذا . . لأنه ليس عندي ما يلزم للشغل . لكن ، لو كان لي هذه العلبة ، لكنت أشتغل بلذة . . نعم بلذة !

السيدة (دي ريان) :

حاولي أن تشتغلي بلذة بدون العلبة ، فهذه هي الطريقة للحصول على واحدة .

صوفي :

أرجوك يا أمي !

السيدة (دي ريان) :

«أنت تزعجينني ، يا صوفي ، أرجوك ألاّ تفكري بهذه العلبة مطلقا» سكتت صوفي وبقيت تنظر الى العلبة . ثم عادت فطلبتها من أمّها أكثر من عشر مرات . نفد صبر أمّها فأرسلتها إلى الحديقة .

لم تلعب صوفي ، ولم تتنزّه . بقيت جالسة على مقعد ، تفكر في العلبة ، وتبحث عن الوسائل للحصول عليها . قالت :

«لو كنت أعرف الكتابة ، لكنت كتبت إلى والدي كي يرسل لي واحدة مشابهة تماما ، لكنني لا أعرف الكتابة . ولو أملي الرسالة على والدتي فستغضب عليّ ولن

تكتبهـا . أستطيع أن أنتظر عودة والدي . ولكن يجب الانتظار طويلا . وإني أرغب في الحصول على العلبة حالا . . »

فكرت صوفي ، وفكرت طويلا . أخيرا قفزت عن بنكها، فركت يديها الواحدة على الأخرى وصاحت:

«لقد وجدتها ، وجدت الفكرة . ستكون العلبة لي» .

وها هي صوفي تدخل البهو. كانت العلبة متروكة على الطاولة . لكن الوالدة لم تكن هناك . تقدمت صوفي بحذر، وفتحت العلبة وراحت تسحب منها الواحد بعد الآخر من الأغراض التي تملأ العلبة . كان قلبها يخفق ، لأنها كانت تسرق كالسارقين الذين يوضعون في السجن . وكانت خائفة من أن يدخل عليها أحد قبل أن تكون قد انتهت . ولكن لم يأت أحد . وتمكنت صوفي من أخذ كل ما في العلبة . وعندما أخذت كل شيء ، أغلقت العلبة بهدوء، وأعادتها الى وسط الطاولة ، وذهبت إلى الغرفة حيث كانت لعبتها وأمتعتها فسحبت درج طاولتها الصغيرة وخبأت فيه كل ما كانت أخذته من علبة أمّها . وقالت :

«عندما لن يبقى لأمّي إلاّ علبة فارغة ، سوف تقبل

حتما باعطائي إياها. وعندئذ أضع فيها كل شيء وتصبح العلبة لي!».

ابتهجت صوفي بهذه الأمنية ولم تفكر حتى بلوم نفسها على ما فعلت. ولم تتساءل: «ماذا ستقول والدتي؟ ومن ستتهم بسرقة أغراضها؟ وبماذا أجيب إذا سئلت أو أتهمت؟» لم تفكر في شيء إلا بالسعادة للحصول على العلبة.

انقضى الصباح دون أن تلاحظ الوالدة سرقة صوفي. ولكن عند وقت العشاء، وبعد أن أجتمع الجميع في البهو، قالت السيدة (دي ريان) الى الاشخاص الذين دعتهم إلى العشاء إنها سوف تعرض عليهم علبة أشغال جميلة جدا، أرسلها لها السيد (دي ريان) من باريس. وأضافت:

«سوف ترون كيف أنها كاملة. كل ما نحتاجه للشغل موجود في هذه العلبة أنظروا أولا إلى العلبة ذاتها كم هي جميلة!»

- فاتنة، أجاب الحاضرون، فاتنة!

فتحتها السيدة (دي ريان). وكم اندهشت واندهشت معها الأشخاص المحيطون بها لوجود العلبة فارغة!

فقالت:

«مـا معنى هذا؟ هذا الصبـاح، كان كل شيء فيهـا. ولم ألمسها منذ ذلك الوقت».

ـ هل تركتِها في البهو؟ سألتها إحدى السيدات المدعوات.

السيدة (دي ريان):

بالتأكيـد، ودون أي شك. وخـدمي كلهم نزهـاء ولا يقدمون على سرقتي.

المرأة:

ورغم ذلـك فالعلبـة فارغـة، سيـدتي العـزيزة. ومن المؤكد أن أحدا أفرغها.

كان قلب صوفي يخفق بشـدة خلال هذه المحـادثة. وقـد مكثت متخّفيـة وراء الجميـع، حمراء الوجه كفجلة وأعضاؤها ترتجف كلها.

أجالت السيدة (دي ريان) نظرها تبحث عنها ولما لم تجدها. نادت: «يا صوفي، يا صوفي. أين أنت».

ولما لم تكن صوفي تجيب، وكانت السيدات اللواتي تخفّت وراءهن يعـرفن أنهـا هنـاك، ابتعـدن، فظهـرت صوفي بحالة من الخجل والارتباك حتى حزر كل من كان هناك دون مشقّة أن السارق هو صوفي نفسها.

السيدة (دي ريان):

«قربي يا صوفي»:

تقدمت صوفي بخطى بطيئة. كانت ساقاها تهتزان تحتها.

السيدة (دي ريان):

أين وضعت الأشياء التي كانت في علبتي؟

صوفي مرتجفة:

لم آخذ شيئا، يا أمي، ولم أخفِ شيئا.

السيدة (دي ريان):

لا فائدة من الكذب، يا آنسة. أعيدي كل شيء في هذه اللحظة، إذا كنت ترغبين في أن تعاقبي كما تستحقين.

صوفي، باكية:

لكن، يا أمي، أؤكد لك أني ما أخذت شيئا.

السيدة (دي ريان):

إتبعيني يا آنسة.

وبما أن صوفي لم تتحرك، أمسكتها السيدة (دي ريان) بيدها وجرتها، رغم مقاومتها، إلى غرفة اللعب. وراحت تبحث في أدراج خزانة الثياب، وفي خزانة الدمية، وعندما لم تجد شيئا بدأت تخشى أن تكون

ظالمـة بحق صوفي . فتـوجهت نحـو الطـاولة الصغيرة، فازداد اضطـراب صوفي خاصة عندما فتحت أمّها الدرج وشاهدت هناك كل أغراض علبة الأشغال التي أخفتها صوفي .

ودون أن تتفـوّه بكلمــة ، أمسكت بصــوفي وراحت تجلدهــا كمـا لم تفعـل من قبـل. وعبثـا راحت صوفي تصـرخ وتطلب المسـامحـة ، لقـد جلدتهـا أمّهـا بقساوة ويجب الاعتراف بأنها استحقت ذلك .

أفرغت السيدة (دي ريان) الدرج وحملت كل ما كان فيـه لاعـادتـه إلى العلبة تاركة صوفي تنتحب وحدها في البهو الصغير.

كانت صوفي مخجـولـة جدا، فلم تكن تجـرؤ على الـدخـول لاعشاء . وقد أحسنت صنعا ، لأن السيدة (دي ريـان) أرسلت إليهـا خادمتهـا لتأخذها إلى غرفتها حيث كان عليها أن تتعشى وتقضي السهرة . بكت صوفي كثيرا وطـويـلا . والخـادمة ، رغم تدليلاتها العادية لها، كانت ساخطة وتسميها سارقة . وكانت تقول :

«يجب أن أقفـل بعـد الآن على كل شيء بالمفتاح ، خوفا من أن تسرقيني . فاذا ضاع شيء في البيت، سنجد السارق بسرعة وسوف نذهب تواً للبحث في ادراجك» .

وفي الغد أرسلت السيدة (دي ريان) تطلب صوفي وقالت لها: إسمعي، يا آنسة، ما كان كتبه لي والدك عندما أرسل علبة الأشغال:

«حبيبتي العزيزة! لقد اشتريت علبة أشغال رائعة، وإني أرسلها لك. إنها لصوفي، لكن لا تقولي لها، ولا تعطيها إياها الآن. ولتكن مكافأة ثمانية أيام من السلوك الجيد. دعيها ترى العلبة، لكن لا تقولي لها بأني اشتريتها من أجلها. أنا لا أرغب في أن تكون عاقلة من أجل المنفعة أو للحصول على هدية جميلة. أريد أن تكون حسنة السلوك لأنها ترغب فعلا في أن تكون صالحة..»

وتابعت السيدة (دي ريان): أنت ترين أنك عندما سرقتني، سرقت نفسك. وبعد الذي حصل، لن ينفعك أن تظلي خلال أشهر عاقلة، فلن تحصلي أبدا على هذه العلبة. أتمنى أن تفيدك الأمثولة فلا تكررين فعلا شنيعا ومخجلا إلى هذه الدرجة.»

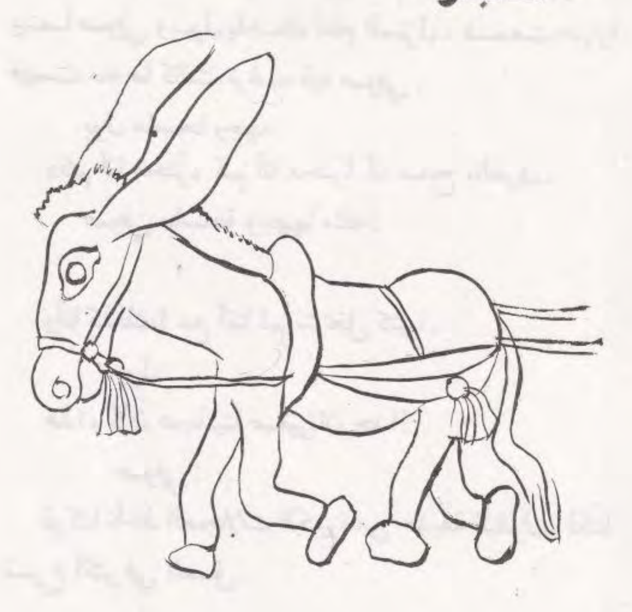
ازدادت صوفي بكاء، ورجت والدتها أن تسامحها. وأخيرا رضيت الأم عنها، لكنها لم ترغب مطلقا في إعطائها العلبة. فيما بعد، أعطتها إلى الصغيرة (اليزابت شينو) التي كان شغلها متقنا وسلوكها رائعا.

عنـدمـا علم بول الصغيـر، المخلص، والطبيب بمـا فعلته صوفي، خجل من هذا العمل وبقي ثمانية أيام لا يرغب في الـذهـاب إليها. ولكن، عندما علم كم كانت مغتّمة ونادمة، وكم كانت مخجولة لتسميتها سرّاقة، حنَّ قلبـه عليهـا. وذهب لمشـاهدتها وبدل أن يؤنبها، عزاها وقال لها:

هل تعـرفين يا عزيـزتي صوفي ما هي الوسيلة لنسيان سرقتك؟ هي ان تكوني نزيهة جدا حتى لا يستطيع أحد في المستقبل الظن بك».

عاهدته صوفي أن تكون نزيهة جدا، ووفت بعهدها.

الفصل التاسع عشر
«الحجار»



كانت صوفي قد بقيت عاقلة جدا مدّة خمسة عشر يوما. لم ترتكب أيّة غلطة كبيرة. فكان بول يقول إنها لم تغضب منذ مدّة طويلة، والخادمة تقول إنها صارت مطيعة. وكانت والدتها ترى أنها لم تعد شرهة ولا كذابة، ولا كسولة. فأرادت أن تكافىء صوفي، لكنها لم

تكن تعلم ما قد يسرّها.

ذات يوم كانت الأم تشتغل أمام نافذتها المفتوحة، بينما صوفي وبول يلعبان أمام المنزل، فسمعت حوارا فهمت منه ما كانت ترغب فيه صوفي.

بول ماسحا وجهه:

«كم أنا محترّ، كم أنا محترّ! أنا سابح بالعرق.

صوفي ماسحة وجهها مثله:

وأنا كذلك! مع أننا لم نشتغل كثيرا.

بول:

هذا، لأنّ عجلتينا صغيرتان جدا!

صوفي:

لو كنا نأخذ العجلات الكبيرة من حديقة البقول، لكنّا نسرع أكثر في العمل.

بول:

لا نقدر على جرها. حاولت يوما أن أجر واحدة، فتمكنت بصعوبة أن أرفعها، ولما حاولت دفعها أمامي، جرّني ثقل العجلة، وانكب التراب الذي كانت تحتويه.

صوفي:

لكن هكذا لن تنتهي حديقتنا أبدا. فقبل أن نقبها

ونـزرعهـا علينـا أن نجلب إليهـا أكثـر من مئـة عجلة من التراب الجيد. وهو بعيد جدا لجلبه!

بول:

ماذا تريدين؟ سيأخذ وقتا طويلا، ولكننا سننجزه.

صوفي:

آه! لو كان عنـدنـا حمـار كحمـار كميلة ومادلين (دي فلورفيل) وعربة نقل صغيرة، لكنا ننهي عملنا في وقت قليل!

بول:

صحيـح! لكن ليس عنـدنـا حمـار. ولذلك علينا أن نقوم بالعمل مكانه.

صوفي:

إسمع يا بول. عندي فكرة.

بول، ضاحكا:

آه! إدا كان عنـدك فكـرة، فأنـا أكيـد بأننـا سنـرتكب حماقة، طالما أن أفكارك ليست، في العادة، ممتازة.

صوفي بنفاد صبر:

إسمـــع إذاً، قبـــل أن تسخـر. فكـرتي ممتـازة. كم تعطيك خالتي مصروفا في الأسبوع؟

بول :

فرنك واحد. لكن، لأعطي بعضه للفقراء ولألهو بالبقية.

صوفي :

طيب! أنا أحصل أيضا على فرنك. وهذا يساوي فرنكين في الأسبوع. وبدل أن نصرف مالنا، فلنّدخره حتى نستطيع شراء حمار وعربة نقل.

بول :

لو أننا بدل الفرنكين نحصل على عشرين فرنكا، إذاً لكانت فكرتك جيدة. ولكن مع فرنكين فقط لن نستطيع إعطاء الفقراء شيئا وهذا أمر سيىء. ثم يجب أن ننتظر سنتين قبل أن نحصل على مبلغ يمكننا من شراء حمار وعربة.

صوفي :

فرنكان في الأسبوع، كم تجمع في الشهر؟

بول :

لا أعرف بالضبط، ولكني أقدر أنها قليلة جدا.

صوفي مفكرة :

حسنا! ها هي فكرة ثانية. لو نطلب من والدتي وخالتي أن تعطيانا حالا ما ستقدمانه لنا كهدية رأس

السنة؟

بول:

لن تقبلا.

صوفي:

فلنطلب منهما على كل حال.

بول:

أطلبي أنت إن شئت. أما أنا فاني أفضل انتظار ما ستقوله لك خالتي. ولن أطلب من أمّي إلا إذا وافقت أمّك.

أسرعت صوفي إلى والدتها التي تظاهرت بأنها لم تسمع شيئا، وقالت لها:

«يا أمّي هل تقبلين باعطائي هدية رأس السنة سلفا؟

السيدة (دي ريان):

هديّة رأس السنة؟ لن أستطيع شراءها هنا. عندما أعود إلى باريس سأحصل عليها.

صوفي:

أوه! يا أمّي! أرغب في أن تعطيني ثمن هديّة رأس السنة. فأنا بحاجة إلى المال.

السيدة (دي ريان):

كيف تكونين بحاجة إلى هذا القدر من المال؟! فاذا

كان لتــوزيعــه على الفقـراء، قولي لي ، سوف أعطيـك اللازم. فأنت تعرفين أني لا أرفض لك أبدا أيّ طلب للفقراء.

صوفي ، مرتبكة :

أمّي! ليس ما أطلبه للفقراء. إنه . . إنه. . لشراء حمار.

السيدة (دي ريان) :

ما الحاجة للحمار؟

صوفي :

آه! يا أمّي ! نحن بحاجة ماسة إليه، بول وأنا! أنظري كم أنـا محتـرة. وبـول محتـرّ أكثر مني . وذلك لأننا نقلنا التراب إلى حديقتنا بعجلة اليد.

السيدة (دي ريان) ضاحكة :

وتعتقدين أن حمارا سينقل التراب في العجلة مكانكما.

صوفي :

لا ، يا أمّي ! أنـا أعـرف أن الحمـار لا يجـر العجلة. ولكني لم أقل لك بعد إننا نحتاج مع الحمار عربة نقل. نشد حمارنا إليها فننقل ترابا كثيرا دون أن نتعب.

السيدة (دي ريان):

أعترف بأن فكرتك جيدة. .

صوفي، ضاربة كفا بكف:

آه! كنت اعلم أن فكرتي جيدة. . وأضافت منادية من النافذة: بول! بول!.

السيدة (دي ريان):

إنتظري قبل أن تبتهجي. فكرتك جيدة، لكني لن أعطيك مال هديّة رأس السنة.

صوفي، منذهلة:

ماذا إذاً. . كيف العمل؟. .

السيدة (دي ريان):

تظلّين هادئة، وتستمرين في البقاء عاقلة، لتستحقّي الحمار وعربة النقل اللذين سأشتريهما لك بأسرع ما يمكن.

صوفي، قافزة من الفرح ومعانقة والدتها».

يا للسعادة! يا للسعادة! شكرا، يا والدتي العزيزة. بول! بول! حصلنا على حمار، وحصلنا على عربة نقل. . تعال إذاً، تعال بسرعة!

بول، مسرعا:

أين؟ أين؟ أين هما؟

صوفي :

أمّي ستقدمهما لنا . سوف تطلب شراءهما .

السيدة (دي ريان) :

نعم ، سأهديهما لكليكما . لك يا بول لمكافأتك على صلاحك ، وطاعتك ، وتعقلك . ولك ، يا صوفي ، لتشجيعك على تقليد ابن خالتك ومتابعة البقاء هادئة ، ومطيعة ، ومجدّة كما أنت منذ خمسة عشر يوما . تعاليا معي نبحث عن (بولان) لنشرح له قضيتنا فيشتري لنا حماركما وعربتكما .

لم ينتظر الولدان تكرار هذا الكلام مرّة ثانية ، بل سبقا السيدة (دي ريان) ، فوجدا (بولان) في الباحة يكيل الشوفان الذي اشتراه لتوّه . وراح الولدان يشرحان له بكثير من الحرارة ما كانا يطلبان . كانا يتكلمان معا ، وبسرعة ، فلم يفهم منهما (بولان) شيئا . كان ينظر إلى الولدين مندهشا ، إلى أن أخذت السيدة (دي ريان) الكلام وشرحت له القضية .

صوفي :

إذهب حالا ، يا (بولان) أرجوك . نحن بحاجة إلى حمارنا حالا ، وقبل العشاء .

بولان، ضاحكا:

لا يمكن أن نجد حمارا كما نجد قضيبا، يا آنسة. يجب أن أتاكد إذا كان يوجد حمار للبيع، وأن أبحث في الجوار، لآتيكما بحمار وديع لا يلبط، ولا يعضّ، ولا يحرن أبدا، وأن لا يكون فتيا جدا ولا عجوزا جدا.

صوفي:

يا إلهي، كم من المطاليب في حمار! إشترِاُوّل حمار تصادفه يا (بولان)، وهذه أسرع طريقة.

بولان

لا، يا آنستي، لن أشتري أول حمار أصادفه. والاّ عرّضتكما للعضّ والرفس.

صوفي:

زه! زه! سيعرف بول كيف يطوّعه.

بول:

لاأبدا. لا أريد أن أقود حمارا يعضّ ويلبط.

السيدة (دى ريان):

أتركا (بولان) يعمل عمله، ياولديّ. وستريان أن طلبكما سينفذ جيدا. إنه خبير في الموضوع ولن يدّخر جهدا.

بول :

والعربة ، ياخالتي ؟ كيف نستطيع الحصول على واحدة صغيرة لشد الحمار اليها؟

بولان :

لاتقلق ، ياسيد بول . وبانتظار أن يصنع صانع العجلات واحدة أعيركما العربة الكبيرة التي تخصّ الكلاب . يمكنكما الاحتفاظ بها قدر ما تشاءان .

بول :

آه ، شكرا ، (بولان) . هذا رائع .

صوفي :

إذهب ، يا (بولان) ، اذهب حالا .

السيدة (دي ريان) :

أتركا له وقتا لكي يجمع الشوفان . فلوتركه في وسط الباحة أكلته الفراخ والعصافيرة .

رتب (بولان) أكياس الشوفان في طرف مستودع الحصيد . وعندما لاحظ تلهّف الولدين ، ذهب يبحث عن حمار في الجوار .

ظنّ بول وصوفي أنه سيعود عاجلا وهو يقود حمارا . فبقيا أمام المنزل ينتظرانه . ومن وقت لآخر كانا يذهبان الى الباحة ليتطلعا إذا كان (بولان) قد رجع . وخلال

ساعة بدآ يجدان أن الانتظار دون لعب مملّ.

بول متثائبا:

ما رأيك، يا صوفي، في أن نلهو قليلا في حديقتنا؟

صوفي متثائبة:

ألسنا نلهو هنا؟

بول، متثائبا.

يبدو لي العكس. فبما يخصنّي، أعرف أني لا ألهو مطلقا.

صوفي:

وإذا عاد (بولان) مع الحمار، فلن نشاهده.

بول:

بدأت أعتقد أنه لن يعود سريعا.

صوفي:

أنا، بالعكس، أعتقد أنه سيصل.

بول:

فلننتظر. أنا موافق. ولكن، (متثائبا) هذا أمر مضجر.

صوفي:

إذهب، إذاً كنت ضجرا. فأنا لا أطلب منك أن تبقى. سأبقى أنا وحدي.

بول، بعد تردد:

حسنـا! ها أنـا ذاهب. إنـه لمن السخف أن نقضي النهار بالانتظار. ثم ما الفائدة؟ فاذا جلب (بولان) حمارا سوف نعـرف في الحـال. تعلمين جيدا أنه سيجيء إلى حديقتنـا من يخبـرنـا. وإذا لم يرجـع بحمـار فمـا فائدة التضجّر بدون سبب؟

صوفي:

إذهب، يا سيد، إذهب فأنا لا أمنعك.

بول:

أفّ! أنت تحـردين دون أن تعـرفي لماذا. إلى اللقاء على العشاء، يا آنسة نقّاقة.

صوفي:

إلى اللقاء يا سيد فظّا، ومضجرا، ومزعجا، ووقحا.

بول، منحنيا انحناءة ساخرة.

إلى اللقاء، يا صوفي الناعمة والطويلة الأناة والمحبوبة!.

هجمت صوفي على بول لصفعـه. لكن بول توقـع ما سيحصـل، وانطلق يسـابق الريح. وعندما استدار ليرى إذا كانت صوفي ما تزال لاحقة به، شاهدها تركض وراءه وهي تحمل قضيبا كانت قد التقطته. فزاد سرعته واختبأ

في الحـرج . وعنـدمـا لم تعد صوفي تشاهده عادت إلى أمام البيت ، وهي تفكر :

«يـا لحسن الحـظ أن يكـون بول قد نجـا ولم أستطع الامسـاك به ! إذاً لكنت ضربتـه بالقضيب ضربـة آلمته ، ولكـانت والـدتي عرفت ، فامتنعت عن إعطائي حماري وعـربتي . وعنـدمـا سيـرجع بول سأعانقه . . . إنه طيب جدا . . ولكنه رغم ذلك نكد» .

وظـلت صوفـي تنـتظـر (بـولان) إلـى أن دقّ جرس العشاء . فدخلت مغتّمة لأنها انتظرت طويلا دون جدوى .

وبول الذي لقيته في غرفتها نظر اليها نظرة هزء قائلا لها :

«هل لهوت جيدا؟

صوفي :

لا ! لقد سئمت . وأنت حسنا فعلت بالانسحاب . لم يرجع (بولان) هذا . ولقد ضجرت !

بول :

لقد قلت لك ذلك .

صوفي :

أجـل ، لقد قلت لي ذلك ، أنا أعرف ! ولكن الانتظار

مضجر جدا».

قُرع البــاب. صاحت الخــادمــة: «أدخـل» ففتـح الباب، وظهر (بولان). أطلق بول وصوفي صيحة فرح، وسألا:

«والحمار؟ والحمار؟.

بولان:

ليس في البلد حمـار للبيـع، يا آنسـة. ما زلت أمشي منذ ما تركتكما. لقد دخلت كل مكان كنت أتوقع وجود حمار فيه للبيع. فلم أجد شيئا.

صوفي، باكية:

يا للتعاسة، يا إلهي، يا للتعاسة! ما العمل الآن؟

بولان:

لكن، لا يجب أن تيأسي، يا آنســة. سوف نحصـل على واحد، بالتأكيد. فقط. يجب الانتظار.

بول:

حتى متى الانتظار؟

بولان:

أسبـوع. أسبـوعـان. حسب الظروف. سأذهب غدا الى سوق المدينة، قد نجد جحشا.

بول :

جحش؟ ماذا ينفع الجحش؟

بولان :

إسمع ! أنت الذي تدعي المعرفة . ألا تعرف أن الجحش هو حمار؟

صوفي :

هذا مضحك! جحش! وأنا أيضا لم أكن أعلم ذلك .

بولان :

ها! إسمعي يا آنسة! نزداد معرفة كلما كبرنا . سأبحث عن والدتك لأقول لها بأني ، غدا في الصباح الباكر، يجب أن أذهب إلى السوق من أجل الجحش . فالى اللقاء، يا آنستي ، ويا سيدي . » .

وخرج (بولان) تاركا الولدين مكدّرين لعدم الحصول على حمارهما . فقالا وهما يتنهدان :

«يظهر أننا سوف ننتظره طويلا» .

إنقضى صباح اليوم التالي في انتظار الحمار. وعبثا حاولت السيدة (دي ريان) أن تشرح لهما بأن هذا ما يحصل غالبا: لا نستطيع أن نحصل على كل ما نريد وفي الوقت الذي نريده فيه . لذلك يجب التعوّد على

الانتظار بل وأحيانا القبول بعدم الحصول على ما نرغب فيـه. فأجاب الولدان: «هذا صحيح»، لكن، لم يخفّ تنهّدهما، وكانا ما زالا ينتظران بفارغ الصبر عودة (بولان) بحمار. وأخيرا ظن بول ـ وقد كان عند النافذة ـ أنه يسمع في البعيد نهيقا: هيهان! هيهان! لا يمكن أن يصدر الّا عن حمار. فصرخ:

«يـا صوفي ! يا صوفي، أنصتي. أتسمعين حمـارا ينهق؟ قد يكون (بولان)..

السيدة (دي ريان):

قد يكون حمارا من حمير المنطقة، أوحمارا مارا في الطريق.

صوفي:

آه! أمي! إسمحي لنا بالـذهـاب لنـرى إذا كان هذا (بولان) مع الجحش.

السيدة (دي ريان):

الجحش؟ ما هذه الطـريقـة في الكـلام؟ لا يسمي الحمار جحشا إلا أهل الريف.

بول:

(بولان)، يا خالتي هو الذي أخبرنا أن الحمار يسمى

جحشا. حتى إنه تعجب كيف أننا لم نكن نعرف ذلك.

السيدة (دي ريان):

بولان يتكلم كأهل الريف، ولكن، أنتما اللذان تعيشان بين الأشخاص المتعلمين فيجب أن يكون كلامكما أفضل.

صوفي:

آه، يا أمي! ما زلت أسمع نهيق الحمار! هل نستطيع الذهاب للاستطلاع؟

السيدة (دي ريان):

إذهبا، إذهبا يا ولديّ. ولكن لا تتقدما حتى الطريق العام. ولا تتجاوزا السياج.»

إنطلق بول وصوفي كالسهم. إنطلقا عبر الحشيش، والحرج كي يصلا بسرعة. فصاحت بهما السيدة (دي ريان): لا تجتازا العشب، إنه مرتفع جدا. ولا تقطعا في الحرج ففيه أشواك. لم يكونا يسمعان، بل يركضان ويقفزان كاليحامير. وسرعان ما وصلا إلى التصوينة، وأول ما شاهدا على الطريق العام (بولان) وهو يقود بالرسن حمارا رائعا لكنه ليس كبيرا جدا. فصاحا معا:

«حمار! حمار! شكرا يا (بولان)، شكرا! يا للسعادة!

- كم هو جميل! قال بول.

ـ وكم يبدو طيبا! قالت صوفي ، ثم أضافت : لنذهب حالا ونخبر أمّي .

بولان .

إســع ، يا سيـد بول . إركب فوقـه . والآنسـة صوفي تركب وراءك . وأنا أمسكه بالرسن .

صوفي :

وإذا وقعنا؟

بولان :

آه! لا خطـر من ذلـك . سوف أمشي بجانبكما . على كل حال ، لقـد قيـل لي عنـدمـا ابتعتـه إنه جحش كامل ووديع جدا» .

ساعــد (بــولان) الـولـدين لامتطـاء الحمـار ومشى بجانبهما . فوصلوا هكذا تحت نافذة السيدة (دي ريان) التي خرجت لدى مشاهدتهم لترى الحمار جيدا .

ثم اقـتيــد الى الاسطبــل . فقــدم له بول وصـــوفي الشـوفـان . وصنـع له (بـولان) فراشـا من القش . وكـان الولدان يرغبان في البقاء عنده ليشاهدا كيف يأكل ، لكن ساعة العشاء كانت قد حانت ، وكان يجب غسل اليدين وتسريح الشعر . فترك الحمار برفقة الأحصنة حتى صباح اليوم التالي .

وفي صباح الغد، كما في صباح كل يوم من الأيام التالية، كان الحمار يقطر على عربة الكلاب بانتظار أن ينهي صانع العجلات عربة جميلة ليتنزّه فيها الولدان، وعجلة نقل، لنقل التراب، وآنية الزهر، والرمل وكل ما كان الولدان يرغبان بوضعه في حديقتهما. وتعلم بول كيف يشد الحمار ويفكه، وينظفه بالفرشاة، ويمشطه، ويصنع له فراشا، ويقدم له الأكل والشرب. وكانت صوفي تعاونه وتحسن التخلص مثله تقريبا.

واشترت له السيدة (دي ريان) بردعة، وسرجا جميلا لتمكنهما من ركوب الحمار. في بادىء الامر، كانت الخادمة ترافقهما. ولكن عندما وجدت السيدة (دي ريان) أن الحمار وديع كالحمل، سمحت لهما بالذهاب وحيدين شرط أن لا يتجاوزا الحظيرة.

ذات يوم، كانت صوفي راكبة على الحمار. وكان بول يسوقه وهو يضربه بقضيب ضربات قوية. فقالت له صوفي:

«لا تضربه. فأنت تؤلمه.»

بول:

لكن، عندما لا أضربه، لا يتقدم. على كل حال قضيبي نحيف جدا فهو لا يستطيع أن يؤلمه كثيرا.

صوفي :
عندي فكرة! لو أني أنخزه قليلا بمهماز بدل أن أضربه.
بول :
هذه فكرة مضحكة. أولا ليس عندك مهماز ثم إن جلد الحمار قاس جدا فلا يحسّ بالمهماز.
صوفي :
هذا سيّان. فلنجرّب. ومن الأفضل ألّا يؤلمه المهماز.
بول :
لكن ليس عندي مهماز لأعطيك إيّاه.
صوفي :
سنصنع واحدا من دبوس غليظ نشكه في حذائي. نضع الرأس داخل الحذاء وسنانه في الخارج.
بول :
إسمعي. هذا خيال واسع! هل معك دبوس؟
صوفي :
لا. ولكننا نستطيع الرجوع إلى البيت. سأطلب دبابيس من الطبّاخة. عندها دائما دبابيس ثخينة.».
ركب بول خلفها على الحمار ووصلا عدواً أمام

المطبخ . أعطتهما الطباخة دبوسين ظانة أن صوفي بحاجة إليهما لاخفاء ثقب في فستانها . ولم ترد صوفي أن تنظّم مهمازها أمام المنزل، لأنها كانت تشعر أنها ترتكب حماقة وتخاف أن توبخها أمّها . فقالت :

«من الأفضل صنع ذلك في الحرج . سوف نجلس على العشب، فيرعى الحمار بينما و نحن نشتغل . ويكون لنا مظهر المسافرين الذين يرتاحون .

وعندما وصلا الى الحرج ترجل بول وصوفي . فأخذ الحمار يرعى العشب عن حافة الطريق مسرورا لأنه تحرر . وقعدت صوفي وبول على الأرض وبدأ شغلهما . فثقب الدبوس الأول الحذاء جيدا لكنه التوى كثيرا فلم يعد صالحا . ولحسن الحظ كان معهما دبوس آخر دخل الحذاء المثقوب بسهولة . أدخلته صوفي وربطته . وبول أمسك الحمار وساعد صوفي على امتطائه فراحت تركله برجلها وتشك الحمار بالدبوس . فانطلق الحمار خببا .

فرحت صوفي ، فراحت تنخز وتنخز . فراح الحمار يعدو بسرعة حتى خافت صوفي ، فتمسكت باللجام . ولكن من خوفها شدت كعب حذائها على الحمار . وكلما شدّت نخزته أكثر . فراح يلبط ويقفز فرمى صوفي على عشر خطوات منه . بقيت صوفي على الرمل طائشة

من السقطة. وكان بول قد تخلف الى الوراء، فأسرع مرتعبا. أعان صوفي على النهوض. كانت يداها مخدشتان وكذلك أنفها. فقالت لبول:

«ماذا ستقول أمّي؟ ماذا سنقول لها عندما تسألنا عن سبب سقوطي؟

بول:

سنقول لها الحقيقة.

صوفي:

أواه يا بول! ليس كل شيء. لا تتحدث عن الدبوس.

بول:

وماذا تريدين أن أقول؟

صوفي:

قل إن الحمار راح يرفس فوقعت.

بول:

لكن الحمار وديع جدا! ولولا دبوسك اللعين لما كان رفس أبدا.

صوفي:

إذا تحدثت عن الدبوس فسوف توبخنا أمّي، وتأخذ منّا الحمار.

بول :

أنـا أعتقـد أنـه يجب قول الحقيقـة دائمـا . فكل مرّة حاولت فيهـا إخفـاء شيء عن خالتي ، كانت على كل حال تعرفه . وكنت تعاقبين أكثر مما لو كنت تقولين الحقيقة .

صوفي :

ولكن ، لمـاذا تريـدني أن أتحـدث عن الدبوس؟ لن أضطـر للكـذب بسببه . سأقول الحقيقة وهي أن الحمار راح يرفس فوقعت .

بول :

إفعلي ما تشائين ، لكني أعتقد أنك مخطئة .

صوفي :

لكن ، أنت يا بول ، لا تقل شيئا . ولا تذهب لاحديث عن الدبوس .

بول :

كوني مطمئنّة! تعلمين أني لا أحب أن توبّخي» .

بحث بول وصـوفي عن الحمـار الـذي كان يجب أن يكون هناك فلم يجداه . فقال بول : إنّه عاد ولا شك إلى البيت» .

وأخـذ بول وصـوفي كالحمـار طريق البيت . كانـا ما

يزالان في الحرج الصغير قرب القصر عندما سمعا من يناديهما، وشاهدا أمّيهما تركضان نحوهما قائلتين :

«ماذا حصل، أيها الولدان هل جرحتما. لقد شاهدنا حماركما عائدا يعدو وسرجه مكسور. كان يبدو مجفلا ومرعوبا. لقد قبضنا عليه بصعوبة. فخفنا ان يكون قد حصل لكما حادث.

صوفي :

لا يا أمّي لا شيء، لقد وقعت فقط.

السيدة (دي ريان) :

وقعت؟ كيف؟ كيف حدث ذلك؟

صوفي :

كنت على ظهره ولا أعرف لماذا راح يقفز ويلبط فوقعت على الرمل وتخدّش قليلا أنفي ويداي. لكن ذلك غير مهم.

السيدة (دوبير) :

لماذا راح الحمار يرفس يا بول؟ كنت أظنه وديعا!

بول مرتبكا :

صوفي هي التي كانت فوقه، يا أمّي. وهو معها راح يرفس.

السيدة (دوبير):

حسنا، فهمت. ولكن ما الذي جعله يرفس؟

صوفي:

أف! يا خالتي. لأنه كان راغبا في الرفس.

السيدة (دوبير):

أظن أنه لم يفعل ذلك لكي يرتاح منكما. ومع ذلك فالأمر فريد».

وعندما انتهت السيدة (دوبير) من الكلام دخل الجميع البيت. توجهت صوفي إلى غرفتها لتغسل وجهها ويديها اللتين كانتا مملوئتين بالرمل، ولتبديل ثوبها الذي كان موسّخا وممزقا. وعندما انتهت من ارتداء ثيابها دخلت السيدة (دي ريان) وفحصت فستانها الممزق. وقالت:

«يجب أن تكوني قد وقعت بقوة حتى يتمزق فستانك ويتوسخ كما هو ظاهر».

صرخت الخادمة:

اخ!

السيدة (دي ريان):

ما بك؟ هل تأذيت؟

الخادمة :

آه! الفكــرة الجيــدة! ها، ها! هذا ابتكـار جديـد! أنظري إذاً يا سيدتي!.

وعـرضت على السيـدة (دي ريـان) الـدبوس الغليظ الذي نخزها والذي نسيت صوفي ان تنزعه بعد وقوعها.

السيدة (دي ريان):

ماذا يعني ذلك؟ كيف وصل هذا الدبوس الى حذاء صوفي؟

الخادمة :

لم تتوصل إلى هذا العمل لوحدها، لأنّ الجلد قاسٍ نوعا ما على الثقب.

السيدة (دي ريان):

إذاً تكلمي يا صوفي. إشرحي لنا كيف وصل الدبوس إلى هنا؟

صوفي، مرتبكة جدا:

لا أعرف يا أمي، لا أعرف شيئا البتّة.

السيدة (دي ريان):

كيف! لا تعـرفين؟ خلعت حذاء علق فيه دبوس دون أن تلاحظي؟

صوفي :

نعم، يا أمّي، لم أر شيئا.

الخادمة :

لا، يا آنسة صوفي، هذا غير صحيح. فمثلا أنا الذي أنعلتك حذاءك وأعرف أنه لم يكن فيه دبوس. تحاولين أن تجعلي والدتك تظن أني مهملة. هذا ليس عملا حسنا يا آنسة.

لم تجب صوفي. ازدادت خجلا وارتباكا. فأمرتها السيدة (دي ريان) أن تتكلم قائلة لها :

«إذا لم تعترفي بالحقيقة، يا آنسة، سأتوجه بالطلب إلى بول الذي لا يكذب أبدا».

فراحت صوفي تجهش بالبكاء ولكنها تشبثت بعدم الاعتراف بشيء. فتوجهت السيدة (دي ريان) إلى شقيقتها السيدة (دوبير)، فوجدت هناك بول. وطلبت منه أن يخبرها عن سبب وجود الدبوس في حذاء صوفي. وعندما وجد بول أن خالته غاضبة جدا وظن أن صوفي قد اعترفت بالحقيقة، أجاب :

«هذا، لنصنع مهمازا يا خالتي.

السيدة (دي ريان) :

ولم الحاجة إلى مهماز؟

بول :

لكي نجعل الحمار يعدو.

السيدة (دي ريان) :

آه! أفهم الآن لماذا راح الحمار يرفس ورمى صوفي أرضا. كان الدبوس ينخز الحيوان المسكين فتخلص منه كيفما استطاع».

خرجت السيدة (دي ريان) وراحت تبحث عن صوفي، ثم قالت لها :

«أعرف كلّ شيء، يا آنسة، أنت كذابة صغيرة. لو بحت لي بالحقيقة، لكنت أنّبتك قليلا ولكني ما كنت عاقبتك. أما الآن، فانك ستمتنعين عن ركوب الحمار مدة شهر كامل.

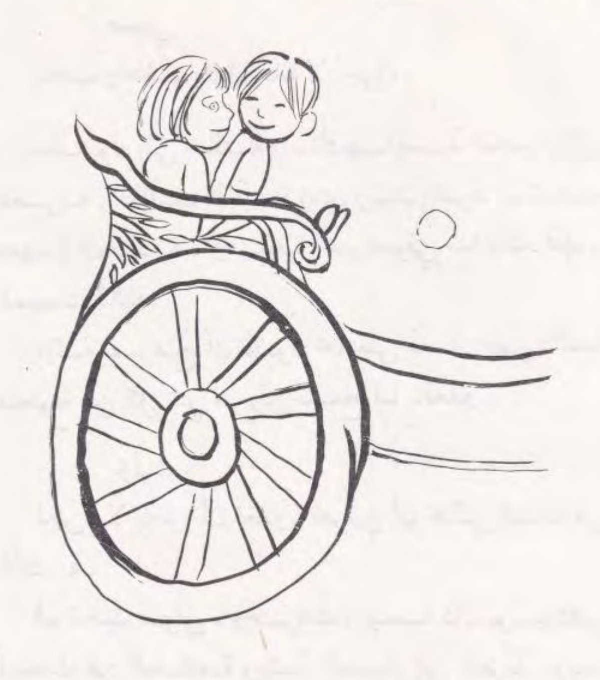
فهذا يعلمك عاقبة الكذب».

وتركت السيدة (دي ريان) صوفي وهي تبكي. فعندما شاهدها بول مجددا، لم يستطع إلا أن يقول :

«لقد حذرتك يا صوفي! لو كنت اعترفت بالحقيقة، لكان بقي لنا الحمار، ولما كنت مغتّمة كما أنت الآن».

وفت السيدة (دي ريان) بوعدها فلم تسمح، رغم توسلات صوفي، بركوب الحمار لمدة شهر.

الفصل العشرون
«العربة الصغيرة»



عندما وجدت صوفي أن أمّها لا تسمح لها بركوب الحمار، قالت ذات يوم، لبول:

«يا بول، بما أننا لا نستطيع ركوب حمارنا. فلنشدّه الى العربة الصغيرة. وسيقوده كلّ منّا بدوره.

بول :
أنا موافق تماما . ولكن هل تسمح لك بذلك خالتي ؟
صوفي :
إذهب واطلب منها . فأنا لا أجرؤ» .

خفّ بول إلى خالتـه واستأذنهـا بشـدّ الحمـار إلى العـربـة . فوافقت السيـدة (دي ريـان) شرط أن تذهب معهمـا الخـادمـة . وعنـدمـا أخبر صوفي بما قالته أمّها، همهمت قائلة :
«إنـه لمـزعـج أن تكـون خادمتي معنـا . فهي دائمـا متخوّفة من كل شيء . ولن تسمح لنا بالعدو.

بول :
لكن ! لا يجوز أن نعدو. تعرفين أن خالتي تمنعنا من ذلك . » .
لم تجب صوفي ، وحـردت ، بينمـا كان بول يركض ليبحث عن الخـادمـة ويشـدّ الحمـار إلى العربة . وبعد نصف ساعة كان الحمار في الباب مع العربة .
فركبت فيهـا صوفي وهي دائمـا حاردة . ورغم جهـود بول المسكين لجعلها فرحة ولطيفة ، بقيت متجهمة طيلة النزهة .

وأخيرا قال لها :

أنت تزعجينني بحـردك ! وأنـا عائـد إلى البيت : إني منزعج من التحدث وحدي ، واللعب وحدي . ومن النظر إلى وجهك العابس .

وأدار بول الحمار صوب البيت . ظلت صوفي حاردة . وعنـــدمـا وصـلا ، ترجّلت ، فعلقت رجلهـا في المـرقـاة ووقعت . فقفـز بول الطيب إلى الأرض وسـاعـدهـا على النهوض . فلم تتأذَّ ، لكنها تأثرت لطيبة بول وطفقت تبكي .

فقال لها بول وهو يعانقها :

«هـل تأذيت ، يا عزيـزتي صوفي ، إستنـدي إليّ . لا تخافي ، سأسندك جيدا» . فأجابت صوفي وهي تجهش بالبكاء :

«لا يا عزيـزي بول . لـم أتأذَّ . أنـا أبكي ندامة . أبكي لأني أزعجتك أنت الطيب دائما معي .

بول :

لا يجـوز البكـاء من أجـل هذا ، يا عزيـزتي صوفي . فليس لي فضـل في أن أكـون طيبـا معـك لأني أحبك . وعندما أخدمك بشيء فاني أخدم نفسي . » .

إرتـمـت صوفي على عنق بول وعــانقتــه وهي تزداد

بكاء. لم يكن بول يعرف كيف يؤاسيها، فقال لها أخيرا:

«إسمعي يا صوفي إذا ظللت تبكين، فسأبكي أنا أيضا. فأنا أنزعج من رؤيتك حزينة.».

مسحت صوفي دموعها وعاهدته بأن تتوقف عن البكاء بينما هي مستمرة في ذرف الدموع. وقالت له:

«آه! يا بول! أتركني أبكي. هذا يفيد. فأنا أشعر أني أتحسّن.».

ولكن، عندما شاهدت عيني بول بدأتا أيضا تغرورقان بالدموع، مسحت عينيها، واستعادت ابتسامتها، ثم صعدا معا إلى غرفتهما حيث لعبا حتى العشاء.

وفي الغد، اقترحت صوفي أن يقوما بنزهة جديدة في العربة التي يجرها الحمار.

فاعتذرت الخادمة لأنها كانت مشغولة بالغسيل ولا تستطيع الذهاب معهما. والأم والخالة كانتا مضطرتين للذهاب في زيارة للسيدة (دي فلورفيل) على بعد فرسخ من القصر.

فقالت صوفي بأسف:

ماذا يجب أن نفعل؟

فأجابتها السيدة (دي ريان):

لو كنت متأكـدة من أنكما ستبقيان عاقلين، لكنت أسمح لكما بالذهاب وحدكما. أما أنت، يا صوفي، فأنك تستنبطين دائما أفكارا فريدة، مما يجعلني أخشى حصول حادث تسبّبه إحدى أفكارك.

صوفي:

آه! لا يا أمي! كوني مطمئنة! أؤكد لك أني لن أقوم بابتداعات. دعينا نذهب، نحن الاثنين، وحدنا، فان الحمار وديع جدا.

السيدة (دي ريان):

يكون الحصان وديعا إذا لم نعذبه. أما إذا رحت تنخزينه كما فعلت في المرة الماضية فسوف يقلب العربة

بول:

لا يا خالتي! لن تكرّر صوفي خطأها. ولا أنا أيضا. فقد استحققت التأنيب مثلها، لأني ساعدتها على ثقب حذائها بالدبوس.

السيدة (دي ريان):

إسمعا. سأسمح لكما بالذهاب وحيدين، ولكن لا تتجاوزا الحديقة، ولا تذهبا إلى الطريق العام ولا تسرعا

كثيرا» .

فصاح الولدان .

«شكـــرا يا أمّي ، شكـــرا يا خالتي» . وانطلقـــا إلى الاسطبل لشدّ حمارهما .

فعنـــدمـــا جهـــز الحمـــار، شاهـــدا ابني المـــزارع الصغيـرين ، يصلان عائدين من المدرسة . فقال البكر، وكان اسمه اندره :

«ستقومان بنزهة في العربة ، سيدي .

بول :

أجل ، هل تحبّ أن ترافقنا؟

أندره :

لا أستطيع ترك أخي ، سيدي .

صوفي :

حسنا ، أجلب أخاك معك .

أندره:

أتمنى ذلك ، يا آنسة . شكرا جزيلا .

صوفي :

إسمعوا! من سيركب في مقعد القيادة؟

بول :

إذا كنت ترغبين في أن تكوني البادئة ، فاليك

السوط. صوفي :

لا ، أنـا أفضـل أن أقود فيما بعد ، عندما يصير الحمار تعبا وأقل اندفاعا» .

ركب الأولاد الاربعة في العربة وراحوا يتنزهون خلال ساعتين ، أحيـانـا ببـطء ، وأحيـانا عدوا . وكان كل واحد يقود بدوره . لكن الحمار بدأ يتعب . لم يكن يحسّ كثيرا بالسـوط الصغيـر الـذي يلوح به الأولاد ، بحيث أنـه راح يتباطأ أكثر فأكثر، رغم ضربات السوط وصيحات صوفي التي تقوده :

ديه ! ديه !

أندره :

آه يا آنسة ! إذا كنت ترغبين في اجباره على المشي ، فسأجيئك بغصن بهشيّة* عندما تضربينه به سيمشي حتما .

صوفي :

هذه فكرة جيدة . سنرغمه على المشي ، هذا الكسول .

وأوقفت صوفي الحمـار . فنـزل أندره وتوجّه إلى حافة الطريق فكسر غصن بهشية غليظا .

* شجرة حرجية . أوراقها شائكة وثمرها كريات حمر .

فقال بول:

«خذي حذرك يا صوفي. تعلمين أن خالتي منعتنا من وخز الحمار.

صوفي:

هل تعتقد ان البهشية ستنخزه كدبوس المرة الماضية؟ قد لا يشعر بها.

بول:

وإذاً، لماذا سمحتَ لأندره بكسر غصن البهشية هذا؟

صوفي:

لأنه أغلظ من سوطنا».

وضربت صوفي بالغصن ظهر الحمار ضربة قوية فخبّ. ابتهجت صوفي لنجاحها. فضربته ضربة ثانية، ثم ثالثة. فراح الحمار يعدو أسرع فأسرع، وصوفي تضحك وكذلك المزارعان الصغيران. أما بول فلم يكن يضحك. كان قلقا بعض الشيء ويخشى حدوث ما يؤدي بصوفي إلى التوبيخ والقصاص. وكانوا قد وصلوا الى منحدر طويل ووعر. فضاعفت صوفي ضرباتها، فنفد صبر الحمار وانطلق يعدو. حاولت صوفي إيقافه، ولكن متأخرة جدا، كان الحمار مستفزا يعدو بأقصى ما

تمكنه قوائمه، والاولاد يصرخون معا، مما أخاف الحمار وجعله يضاعف سرعته! أخيرا اجتاز تلعة من التراب مرتفعة، فانقلبت العربة. بقي الأولاد في الارض، والحمار تابع جرّ العربة المقلوبة حتى تكسّرت.

كانت العربة جدّ واطئة فلم يجرح الأطفال، ولكن وجوههم جميعا وأيديهم تخدّشت. فنهضوا حزانى. إنطلق المزارعان الصغيران إلى المزرعة، وقفل بول وصوفي عائدين الى البيت. كانت صوفي مخجولة وقلقة. وبول كان حزينا. وبعد أن مشيا مسافة دون أن يتفوّها بكلمة، قالت صوفي لبول:

«آه! يا بول! أنا خائفة من أمّي! ماذا ستقول لي؟

بول، حزينا:

لقد توقّعت تماما، عندما أخذت غصن البهشية، أنك سوف تؤذين هذا الحمار المسكين. كان عليّ أن أحذرك بقوة، فلعلك كنت أصغيت لنصيحتي.

صوفي:

لا، يا بول. ما كنت استجبت لطلبك. لأني كنت أعتقد أن البهشية لا تستطيع النخز من فوق وبر الحمار السميك. ولكن ماذا ستقول أمّي؟

بول:

مع الأسف، يا صوفي لماذا أنت غير مطيعة؟ لو كنت تسمعين كلام خالتي، لخفّت قصاصاتك وتوبيخاتك.

صوفي:

سأحاول أن أقلع عن الخطأ. أؤكد لك أني سأحاول. لأن الطاعة أمر مزعج!

بول:

القصاص أكثر ازعاجا، ثم إني لاحظت الأشياء التي نمنّع عنها هي خطرة. وعندما نقوم بها يحصل دائما معنا مصيبة ما. وبعد ذلك نصبح خائفين من مواجهة خالتي وأمّي.

صوفي:

هذا صحيح! أوه! يا إلهي! هذه أمّي قادمة! هل تسمع وقع العربة؟ فلنسرع بالدخول قبل أن تشاهدنا».

لكنهما ركضا دون جدوى، لأن العربة كانت أسرع منهما في السير. فتوقفت أمام درج المدخل مع وصول الولدين إليه.

لاحظت السيدتان (دي ريان) و(دوبير) حالا خدوش الوجه واليدين. فصاحت السيدة (دي ريان):

«ماذا! حوادث جديدة؟! ماذا حصل معكما؟

صوفي :

أمّي ، إنه الحمار.

السيدة (دي ريان) :

كنت متأكدة سلفا . لذلك كنت قلقة طيلة زيارتي . ولكن هل إن هذا الحمار مسعور؟ ماذا فعل لكي يخدشكما هكذا؟

صوفي :

لقد أوقعنا ، يا أمّي ، وأعتقد أن العربة قد انكسرت قليلا ، لأنه بقي يعدو بها بعد أن انقلبت .

السيدة (دوبير) :

أنا متأكدة أنكما ابتدعتما ما أزعج هذا الحمار المسكين .

خفضت صوفي نظرها ولم تجب . واحمر وجه بول ولم يقل شيئا .

السيدة (دي ريان) :

يا صوفي ! إني ألاحظ من هيئتكما أن خالتك قد حزرت . قولي الحقيقة . وأخبرينا ما حصل . » .

ترددت صوفي لحظة ، لكنها صممت على قول الحقيقة . فأخبرتها كاملة لوالدتها وخالتها .

قالت السيدة (دي ريان):

يا ولديّ العزيزين. منذ ما حصلتما على هذا الحمار، والمتاعب تحل بكما دون توقف، وصوفي تستنبط باستمرار أفكارا خارجة عن المألوف. سأطلب إذا بيع هذا الحيوان التعيس لفرط ما سبب من حماقات.

صوفي وبول معا:

أواه يا أمي! أواه يا خالتي! أرجوك لا تبيعيه. لن نعيدها مرة ثانية أبدا، أبدا.

السيدة (دي ريان):

لن تكررا الحماقة ذاتها. لكن صوفي سوف تخترع حماقات أخرى قد تكون أخطر من السابقة.

صوفي:

لا يا أمّي. أؤكد لك أني لن أفعل سوى ما تسمحين به. سأكون مطيعة. أعدك بذلك.

السيدة (دي ريان):

سأنتظر أيضا بضعة أيام، لكني أحذركما أنه عند أوّل خاطرة لصوفي لن يعود لكما حمار.

شكر الولدان السيدة (دي ريان) التي سألتهما عن الحمار فتذكرا عندئذ أنه بقي يعدو وهو يجرّ وراءه العربة المنقلبة.

نادت السيدة (دي ريان) (بولان) وأخبرته بما حصل، وطلبت إليه أن يذهب للبحث عن الحمار. فانطلق (بولان) خلفه ثم عاد بعد نصف ساعة. كان الولدان ينتظرانه، فصاحا معا:

«ماذا يا (بولان)؟

بولان:

وإذاً، سيد بول وآنسة صوفي، لقد حلّت مصيبة بحماركما.

صوفي وبول معا:

ماذا؟ أيّة مصيبة؟

يظهر أن الخوف تملكه، هذا الحيوان المسكين. فراح يعدو، ويعدو صوب الطريق العام. كان الحاجز مفتوحا فانطلق عبره. وبينما كان يجتاز الطريق إذ وصلت عربة المسافرين، لم يستطع قائدها أن يوقف جياده في الوقت المناسب فقلبت الحمار والعربة، ثم داست عليه ووقعت الجياد لكن عربة المسافرين لم تنقلب معها. وعندما رفعت الجياد وشدّت إلى العربة كان الحمار مسحوقا ونافقا. وجمد في مكانه كالحجر.

أخذ الولدان بالصراخ فهرع إليهما أمّاهما وجميع الخدم. أعاد (بولان) سرد المصيبة التي حلّت بالحمار

المسكين. واصطحبت الامّان صوفي وبول كي تحاولا مؤاساتهما.

فصعب عليهما ذلك لفرط ما كان الولدان مغتمّين. كانت صوفي تأخذ على نفسها أنها سببت موت حمارها. وكان بول يلوم نفسه لأنه ترك صوفي تتصرف.

انقضى النهار بغمٍّ كبير. وظلت صوفي طويلا بعد هذه الحادثة كلما شاهدت حمارا يشبه حمارها تأخذ بالبكاء. ولم تعد ترغب في اقتناء حمار. وحسنا فعلت، لأن والدتها لم تكن ترغب مطلقا في إعطائها حمارا آخر.

الفصل الحادي والعشرون
«السلحفاة»



كانت صوفي تحب الحيوانات. وكانت قد حصلت على فرخ دجاج، وسنجاب، وهرّ، وحمار. لكن أمّها لم تكن ترغب في إعطائها كلبا. خوفا من أن يصبح مسعورا، كما يحصل غالبا.

وذات يوم سألت أمّها:

«أي حيوان يمكن أن أحصل عليه إذاً؟ أنا أرغب في واحد لا يقدر أن يسيء إليّ، ولا يستطيع الهرب، ولا تكون العناية به صعبة.

السيدة (دي ريان) ضاحكة:

وإذاً لا أرى حيوانا يلائمك غير السلحفاة.

صوفي:

هذا صحيح! السلحفاة لطيفة جدا، ولا خوف عليها من الهرب.

السيدة (دي ريان) ضاحكة:

وإذا حاولت الهرب فيكون عندك متّسع من الوقت دائما للحاق بها.

صوفي:

إشتري لي سلحفاة، يا أمّي. إشتري لي سلحفاة.

السيدة (دي ريان):

ما هذا الجنون! كنت أمزح وأنا أحدثك عن سلحفاة. إنها بهيمة دميمة، وثقيلة، وبشعة، وحمقاء، ومزعجة. لا أفكر أنك تستطيعين أن تحبي حيوانا بهذه الحماقة.

صوفي :

آه، يا أمّي ، أرجوك! ستسلّيني كثيرا. وسوف أبقى عاقلة تماما كي أستحقّها.

السيدة (دي ريان) :

بما أنك ترغبين في بهيمة بشعة إلى هذا الحدّ، فاني أقدر تماما أن أعطيك إياها ولكن بشرطين : الأول، أن لا تتركيها تموت من الجوع . والثاني ، أنه عند أوّل غلطة ترتكبينها سأسترجعها منك .

صوفي :

أنا أقبل بشروطك يا أمّي . أنا أقبل . فمتى أحصل على سلحفاتي ؟

السيدة (دي ريان) :

ستحصلين عليها بعد غد. سأكتب هذا الصباح بالذات لوالدك الموجود في باريس كي يشتري لي واحدة. وسيرسلها غدا مساء بعربة السفر، وتحصلين عليها بعد غد في الصباح الباكر.

صوفي :

إني أشكرك ألف مرّة، يا أمّي . سيصل بول حتما غدا ، وسيمكث عندنا خمسة عشر يوما .

وسيتوفر له الوقت ليلهو بالسلحفاة .

وفي صبـــاح الغـد وصـل بول ففـرحت صوفي فرحـا عظيمـا. ولما أعلمته أنها تنتظر سلحفاة، سخر منها بول وسألها عما ستفعله بهذه البهيمة الشنيعة. فقالت:

«سنقـدم لهـا الخسّ، ونصنع لها فراشا من الحشيش اليـابس. سوف نحملهـا إلى العشب. وأؤكـد لك أننـا سنتلهى كثيرا.».

صبـاح الغـد، وصلت السلحفـاة. كانت غليظـة كصحن، وسميكـة مثل غطاء أطباق الطعام. وكان لونها بشعا ووسخا. وكانت تخفي رأسها وقوائمها تحت درقتها.

فصرخ بول:

« يا إلهي! ما أبشعها!

فأجابت صوفي:

أنا أجدها جميلة كفاية، ومبقّعة قليلا.

بول، بأسلوب ساخر:

وبالاخص لها مظهر جميل، وبسمة ظريفة.

صوفي:

دعنا وشأننا. أنت تسخر من كل شيء.

بول متابعا:

ما احبّه فيها هو خلقتها الجميلة، وخطوها البطيء.

صوفي مغتاظة:

قلت لك: أصمت. سأحمل سلحفاتي وآخذها إذا سخرت منها.

بول:

إحمليها، أرجوك، إحمليها. فلن أتحسّر على ذكائها.

كانت صوفي ترغب بقوة في الوثوب على بول وصفعه، لكنه تذكرت وعدها ووعيد أمّها، واكتفت بأن رمقت بول بنظرة غاضبة. كانت تودّ حمل السلحفاة ووضعها على العشب، لكنها وجدتها ثقيلة، فتركتها تسقط على الارض. لكن بول الذي كان نادما لتنكيده صوفي فقد أسرع لنجدتها. اقترح عليها أن تضع السلحفاة في منديل فيحملانها كلاهما، كل واحد يمسك بطرف من المنديل. فرضيت صوفي بمساعدة بول لأن سقوط السلحفاة كان أخافها.

عندما شعرت السلحفاة بالعشب الطري، أخرجت قوائمها، ثم رأسها، وراحت ترعى العشب. وكان بول وصوفي يراقبانها بتعجّب.

قالت صوفي:

«ترى جيدا أن سلحفاتي ليست بهذه الحماقة ولا

بهذا الازعاج .

فأجاب بول :

لا ، فعلا لا . لكنّها بشعة جدا .

فقالت صوفي :

هذا صحيح ، أقرّ بأنها بشعة . لها رأس رهيب .

وأضاف بول :

وقوائم فظيعة .

تابع الولدان الاعتناء بالسلحفاة طيلة عشر أيام دون أن يحصل شيء غير عاديّ . كانت السلحفاة تنام في حجرة صغيرة على الحشيش اليابس . وتأكل خسّا وعشبا وتبدو سعيدة .

ذات يوم خطر ببال صوفي خاطرة . فكرت ان الطقس حارّ، وأن السلحفاة بحاجة إلى أن تبترد . ولذلك فان حماما في البركة سوف ينعشها كثيرا . فنادت بول واقترحت عليه أن يغسلا السلحفاة .

بول :

نغسلها؟ أين إذاً؟

صوفي :

في بركة حديقة البقول . فمياهها باردة ونقيّة .

بول :

لكني أخشى أن تتأذّى .

صوفي :

بالعكس ، السلاحف تحبّ الاغتسال كثيرا . وسوف تغتبط كثيرا .

بول :

من أين تعلمين أن السلاحف تحبّ الاغتسال فـنـا أظن أنها لا تحب الماء .

صوفي :

أنا متأكدة أنها تحب الماء كثيرا . هل إنّ سرطان النهر لا يحب المياه؟ وهل إن المحار لا يحب المياه؟ فهذه البهائم تشبه قليلا السلحفاة؟

بول :

أجل، هذا صحيح . على كل حال يمكننا ان نجرّب» .

ذهبا لأخذ السلحفاة التي كانت على العشب تتدفّأ هانئة في الشمس، وحملاها إلى البركة وغطساها فيها . وما أن أحسّت السلحفاة بالمياه حتى أخرجت بسرعة رأسها وقوائمها لتحاول التخلّص . فمسّت قوائمها اللزجة يدي بول وصوفي ، لكنهما أفلتاها كلاهما ،

فغاصت إلى قاع البركة.

خاف الولدان، فركضا الى بيت البستاني ليطلبا منه انتشال السلحفاة المسكينة. كان البستاني يعرف أن المياه تقتلها، فأسرع صوب البركة التي لم تكن عميقة. خلع قبقابه، وطوى ساقي سرواله ورمى بنفسه في البركة. كان يشاهد السلحفاة تتخبط في قاع البركة فانتشلها بسرعة. ثم حملها إلى قرب النار ليجفّفها. كانت البهيمة المسكينة قد أدخلت رأسها وقوائمها ولم تعد تتحرك. وعندما دفئت جيدا، أراد الولدان إعادتها الى العشب تحت الشمس.

فقال البستاني:

إنتظرا، يا سيدي ويا آنستي. سأحملها لكما. وأضاف: أعتقد أنها لن تأكل أبدا.

فسألته صوفي:

هل تعتقد أن الحمام قد أذاها؟

البستاني:

بالتأكيد، لقد أذاها. فالمياه لا تلائم السلاحف.

بول:

هل تعتقد أنها ستمرض؟

البستاني :

أن تمرض، فلا أعرف. لكنني أعتقد تماما أنها ستموت.

فصرخت صوفي :

آه. يا إلهي.

بول، بصوت منخفض :

لا تخافي. فهو لا يعرف ما يقول. إنه يعتقد أن السلاحف كالهررة. لا تحبّ المياه.

وعادوا الى العشب. فوضع البستاني السلحفاة بهدوء، وعاد الى حديقة بقوله.

كان الولدان ينظران من وقت لآخر الى السلحفاة، لكنها بقيت جامدة، لا تظهر رأسها ولا قوائمها. فقلقت صوفي، وكان بول يطمئنها قائلا :

«يجب تركها تفعل ما تشاء، غدا ستأكل وتتنزّه».

وعند المساء أعاداها إلى فراش القش، وقدما لها أوراق خسّ طرية. وفي الصباح عندما ذهبا يستطلعان أمرها وجدا أوراق الخس كامنه كما هي. لم تكن السلحفاة قد مستها. فقالت صوفي :

«هذا غريب فهي عادة تأكل كل شيء في الليل.

قال بول:
لنحملها الى العشب. لعلها لا تحبّ الخسّ».
وكـــان بول قلقـا، لكنـه ما كان يرغب في الاعتـراف بذلــك لصـوفي. فراح يتفحص بانتبـاه السلحفـاة التي استمرت جامدة دون حراك.

فقال لصوفي:
«لنتركها. ستدفّئها الشمس فتتحسن.
صوفي:
هل تعتقد أنها مريضة؟
بول:
أظنّ ذلك».
ولم يحبّ أن يضيف، وبدأ يخشى أن تكون قد نفقت.
وبقي بول وصـوفي يحملان السلحفاة مدّة يومين الى العشب. لكنها ما كانت تتحرك. وكانا يجدانها دائما في الـوضـع الـذي تركـاهـا فيه. وكانا يجدان الخسّ الذي يضعـونـه مسـاء ما زال كامـلا كمـا هو في صبـاح الغد. وبـالتـالي، ذات يوم بينمـا كانـا يضعـانهـا على العشب لاحظا أنها تفوح برائحة كريهة.

فقال بول:

إنها ميتة. أصبحت رائحتها كريهة.

فكرّرت صوفي:

ميتة. هذا هو الحمّام الذي قتلها.

كانا كلاهما بالقرب من السلحفاة متأسفين ولا يعرفان ماذا يفعلان بها، عندما وصلت السيدة (دي ريان) وانحنت لتحملها ثم قالت:

«ماذا تفعلان هنا، يا ولديّ؟ أنتما جامدان كالتماثيل بالقرب من هذه السلحفاة.. التي هي جامدة مثلكما.».

وعندما تفحصتها السيدة (دي ريان) لاحظت أن رائحتها كريهة، فصاحت وهي ترميها أرضا:

«لكنها.. ميتة.. تفوح منها رائحة كريهة.

بول:

أجل، يا خالتي. أعتقد أنها ميتة.

السيدة (دي ريان):

ما الذي أماتها؟ ليس من الجوع حتما طالما أنكما تضعانها كل يوم على العشب. هذا غريب أن تكون ميتة دون أن نعرف لماذا.

صوفي :

أظنّ، يا أمّي، أنها ماتت بسبب الغسيل.

السيدة (دي ريان) :

غسيل؟ من فكّر أن يغسلها؟

صوفي خجلة :

أنا، يا أمّي. اعتقدت أن السلاحف تحبّ المياه الباردة وقد غسلتها في بركة حديقة البقول. فسقطت إلى القاع. ولم نستطع إدراكها فجاء البستاني وانتشلها. لقد بقيت طويلا في المياه.

السيدة (دي ريان) :

آه. هذه خاطرة من خواطرك.. لقد عاقبت نفسك بالنتيجة. ليس لي ما أقوله لك. تذكّري فقط أنك في المستقبل لن تحصلي على حيوان للاعتناء به ولا لتربيته. أنت وبول تقتلان كل هذه الحيوانات أو تتركانها تنفق. وأضافت السيدة (دي ريان): يجب رمي هذه السلحفاة. تعال يا (بولان)، خذ هذه البهيمة الميتة وارمها في حفرة ما.».

هكذا انتهت السلحفاة المسكينة التي كانت آخر حيوان حصلت عليه صوفي. وبعد عدة أيام، طلبت من أمّها إذا كانت تستطيع أن تحصل على بعض خنانيص

الهند الرائعة التي وعدت بأن تقدم لها في المزرعة. فرفضت السيدة (دي ريان). وكان على صوفي الطاعة، فعاشت وحيدة مع بول الذي غالبا ما كان يجيء لقضاء بضعة أيام معها.

الفصل الثاني والعشرون
«السفر»



قالت صوفي ذات يوم لبول : «لماذا خالتي (دوبير) وأمّي تتحادثان دائما بصوت منخفض؟؟ أمّي تبكي وكذلك خالتي. هل تعلم لماذا؟

بول:

لا ، لا أعرف البتّة. مع أني سمعت أمّي مرّة تقول

لخالتي : سيكون رهيبا أن نترك أهلنا وأصدقاءنا وبلادنا.
فأجابت خالتي: وخاصة من أجل بلد كأميركا . » .

صوفي :

حسنا، ماذا يعني ذلك؟

بول :

أعتقد أن هذا يعني أن أمّي وخالتي ستسافران إلى اميركا .

صوفي :

ولكن هذا ليس رهيبا . بالعكس، فانه سيكون مسلّيا. سنجد سلاحف في أميركا .

بول :

وعصافير رائعة : غربان حمر وبرتقاليّة، وزرقاء وبنفسجيّة وزهريّة، ليست قبيحة كغرباننا السوداء .

صوفي :

وببغاوات وطنانات . لقد قالت لي أمّي إنه يوجد منها الكثير في أميركا .

بول :

وبالتالي سنجد متوحشين سود وصفر وحمر.

صوفي :

آه. بشأن المتوحشين فأنا اخاف منهم . لن أقبل

بالعيش مع المتوحشين. قد يأكلوننا.

بول:

ولكن لن نذهب للسكن عندهم. سوف نشاهدهم فقط عندما يجيئون للتنزّه في المدن.

صوفي:

ولكن لماذا نذهب إلى أميركا؟ فنحن مرتاحون جدا هنا.

بول:

بالتأكيد. فأنا أراك غالبا وقصرنا قريب جدا من قصركم. وقد يكون من الأفضل أن نسكن معا في أميركا. آه. عندئذ سوف أحبّ أميركا كثيرا.

صوفي:

أنظر، هذه أمّي تتنزّه مع خالتي. وهما تبكيان أيضا وأنا أحزن عندما أراهما تبكيان.

ها هما تجلسان على البنك، فلنذهب لمؤاساتهما.

بول:

ولكن كيف نؤاسيهما؟

صوفي:

لا أعلم البتّة، لنحاول على كلّ حال.

أسرع الولدان إلى أمّيهما،

فقالت صوفي :

«أمي العزيزة ، لماذا تبكيان؟

السيدة (دي ريان) :

بسبب شيء يحزنني يا صغيرتي العزيزة ، ولن تفهميه .

صوفي :

بلى ، يا أمّي ، أفهم جيدا أن السفر إلى أميركا يؤلمك ، لأنك تعتقدين أني سأحزن لذلك كثيرا . فأوّلا بما أن خالتي وبول سيسافران معنا سنكون سعداء جدا . وبالتالي أحب أميركا كثيرا . إنها بلد جميل جدا» .

تطلعت السيدة (دي ريان) أولا إلى شقيقتها السيدة (دوبير) باندهاش ، ثم لم تتمالك عن الابتسام عندما تحدثت صوفي عن أميركا التي لم تكن تعرفها مطلقا .

السيدة (دي ريان) .

«من قال لك أننا سنسافر إلى أميركا . ولماذا تظنين أن ذلك يحزننا؟

بول :

آه ، يا خالتي . لقد سمعتكما تتحدثان عن الذهاب إلى أميركا وتبكيان . وإنّي أؤكد لكما أن الحق مع

صوفي. لأننا سنكون سعداء جدا في أميركا إذا سكنّا معا.

السيدة (دوبير):

أجل، يا ولديّ العزيزين. لقد حزرتما. فنحن قد نسافر فعلا إلى أميركا.

بول:

ولم يا أمّي؟

السيدة (دوبير):

لأن أحد أصدقائنا واسمه «فيشيني» كان يعيش في أميركا وقد توفاه الله، وليس له أقارب. وقد كان غنيا جدا وترك لنا كل ثروته. فوالدك ووالد صوفي مضطران للذهاب إلى أميركا وتسلّم هذه الثروة. وخالتك وأنا لا نرغب في تركهما يسافران وحيدين، ومع ذلك فنحن حزينتان لترك أهلنا وأصدقائنا وأراضينا، وبلادنا.

صوفي:

ولكن ذلك لن يكون إلى الأبد، أليس كذلك؟

السيدة (دي ريان):

لا، ولكنّ قد يدوم سنة أو سنتين.

صوفي:

حسنا يا أمّي، لا يجوز البكاء من أجل هذا. فكّري

أن خالتي وبـول سيكـونـان معنا طيلة هذا الوقت. ثم إن والدي وزوج خالتي سيكونان فرحين جدا لعدم الذهاب منفردين».

قبّلت السيـدة (دي ريـان) صوفي بينما كانت السيدة (دوبير) تقبّل بول. ثم قالت لشقيقتها:

«الحق مع هذين الولدين. سوف نكون معا، وستتان تنقضيان بسرعة».

ومنذ ذلك اليوم لم تعودا تبكيان. فقالت صوفي لبول:

«أتـرى كيف أننا آسيناهما. الاحظت أن الاولاد يؤاسون بسهولة فائقة أمهاتهم؟

بول:

ذلك لأنهم يحبونهنّ».

وبعـد بضعـة أيام، ذهب الولدان مع أمّيهما في زيارة وداع إلى صديقتيهمـا كميلة ومـادلين (دي فلورفيـل) اللتين تفاجأتا لمعرفة أن صوفي وبول سوف يسافران إلى أميركا.

فسألت كميلة:

«كم ستبقيان هناك؟

صوفي :

سنتين، كما أعتقد. وهذه مدّة طويلة جدا.

بول :

عندما نعود، تكون صوفي قد بلغت السادسة وأنا الثامنة.

مادلين :

وأنا أكون في الثامنة أيضا وكميلة في التاسعة.

صوفي :

كم ستكونين عجوزا يا كميلة. تسع سنوات.

كميلة :

أجلبي لنا من أميركا أشياء جميلة، وغريبة.

صوفي :

هل تريدين أن أجلب لك سلحفاة؟

مادلين :

يا للشناعة - سلحفاة. إنها بلهاء جدا وبشعة جدا».

ضحك بول. فسألته كميلة :

«لماذا تضحك يا بول؟

بول :

لأن صوفي كان لها سلحفاة وقد غضبت مني ذات يوم لأني قلت لها تماما ما تقولينه أنت الآن.

كميلة :

وماذا حل بهذه السلحفاة؟

بول :

لقد نفقت بعد أن غسلناها في البركة .

كميلة :

يا للبهيمة المسكينة . آسف أني لم أشاهدها» .

لم تكن صوفي تحب الحديث عن السلحفاة فاقترحت عليهم أن يقطفوا باقات زهر من الحقول . فقالت كميلة إنها تفضل الذهاب إلى الحرج لقطف الفراولة . قبلوا جميعا وبسرور. ووجدوا كثيرا من الفراولة ، وكانوا كلما وجدوا شيئا منها أكلوه . بقوا مدّة ساعتين في اللهو. ثم جاء وقت الفراق . فوعد بول وصوفي بجلب فواكة من أميركا ، وأزهار، وطنانات ، وببغاوات ـ حتى ان صوفي وعدت بجلب متوحش صغير، فيما لو سمح لها بشراء واحد . وفي الايام اللاحقة ، تابعا زيارات الوداع ثم بدآ بتوضيب الطرود . وكان السيدان (دي ريان) و (دوبير) ينتظران أمرأتيهما وولديهما في باريس .

ويوم السفر كان يوما حزينا . فقد بكى حتى بول وصوفي عند تركهما القصر، والخدم ، وأهالي القرية .

قد يكونان قد فكرا أنهما لن يعودا أبدا، وكل هؤلاء الناس كانوا يفكّرون مثلهم. وجميعهم كانوا حزانى.

ركبت الأمّان والولدان في عربة تقطرها أربعة جياد بريد. أما الخادمات والوصيفات فكنّ يتبعن في عربة مكشوفة يقطرها ثلاثة جياد. وكان يجلس في كل مقعد قيادة خادم. وبعد أن توقفوا نصف ساعة في الطريق للأكل وصلوا إلى باريس عند العشاء. كانوا سيمكثون ثمانية أيام فقط في باريس لشراء كلّ ما يحتاجونه للسفر او لمدّة إقامتهم في أميركا.

خلال هذه الأيام الثمانية، تلهّى الولدان كثيرا. كانا يذهبان مع والدتيهما للتنزّه في غابة (بولونيا)، وفي قصر (التويلرى) وفي حديقة النبات. وكانا يذهبان لشراء أشياء من كل الأصناف: ثياب، قبعات، أحذية، قفازات، كتب في التاريخ، ألعاب، ومؤن للطريق. وكانت صوفي ترغب في اقتناء كل الحيوانات التي تصادفها معروضة للبيع. حتى إنها طلبت شراء الزرافة الصغيرة من حديقة النبات. وبول كان يميل إلى كل الكتب وكل الصور. لقد ابتيع لكل منهما حقيبة سفر صغيرة ليضعا فيها لوازم الزينة، ومؤونة النهار، واللعب، مثل الدومينو، والورق، وعصيّة الراعي، والكلل.

وأخيرا جاء اليوم المنتظر للسفر إلى مرفأ (الهافر) حيث كان عليهم ركوب السفينة التي تقلهم إلى أميركا. وقد علموا عند وصولهم إلى (الهافر) أن سفينتهم (لاسيبيل) لن تترك قبل ثلاثة أيام. فاغتنموا هذه الأيام الثلاثة من أجل التنزّة في المدينة. فالضجيج، وحركة الشوارع، والأحواض الملأى بالبوارج الحربية، والأرصفة المغطاة بباعة الببغاوات والسعادين وجميع الأصناف المستوردة من أميركا، كل ذلك سلّى الولدين كثيرا. ولو أن السيدة (دي ريان) كانت تستجيب لطلبات صوفي، لكانت اشترت لها دزينة سعادين، والقدر ذاته من الببغاوات والعصافير الصغيرة والسلاحف. لكنها لم تنثن، لقد رفضت كل شيء رغم توسّلات صوفي.

.

وانقضت هذه الأيام الثلاثة مثلما انقضت الأيام الثمانية في باريس، وكذلك السنوات الأربع من عمر صوفي، والسنوات الست من عمر بول. لقد انقضت لغير رجعة. وكانت السيدتان (دي ريان) و (دوبير) تبكيان لترك فرنسا الجميلة والعزيزة على قلبيهما. وكان السيدان (دي ريان) و (دوبير) حزينين ويحاولان مؤاساة زوجتيهما بوعدهما بالعودة بأسرع ما يمكن. أما بول

وصوفي فكانا مبتهجين. كان حزنهما الوحيد أن يريا أمّيهما تبكيان. فدخلا السفينة التي كانت ستبحر بهما إلى البعيد وسط العواصف ومخاطر البحر. وبعد بضع ساعات، كانوا جميعهم مقيمين في حجراتهم التي كانت غرفا صغيرة، تحتوي كل منها على سريرين، وحقائب السفر، والأثاث الضروريّ للزينة. نامت صوفي مع السيدة (دي ريان) ونام بول مع السيدة (دوبير) والوالدان ناما معا. كانوا يأكلون سوية إلى طاولة القبطان الذي كان يحبّ صوفي كثيرا. فقد كانت تذكره بصغيرته (مارغريت) التي بقيت في فرنسا. وكان القبطان يلعب غالبا مع بول وصوفي. كان يشرح لهما كل ما يدهشهما في السفينة: كيف تسير على المياه، كيف نساعدها على التقدم بفتح الأشرعة وأشياء كثيرة غيرها.

كان بول يقول دائما:

سأكون بحارا عندما أكبر وسوف أسافر مع القبطان.

وصوفي تجيب:

أبدا، لا أريد أن تكون بحارا. سوف تبقى دائما معي.

بول :

ولماذا لا تأتين معي على سفينة القبطان؟

صوفي :

لأني لا أريد أن أترك والدتي . سأبقى دائما معها . وأنت سوف تبقى معي . فهل تفهم؟

بول :

أفهم ، أفهم . سأبقى معك بما أنك تريدين ذلك .

كانت السفرة طويلة . طالت عدّة أيام .

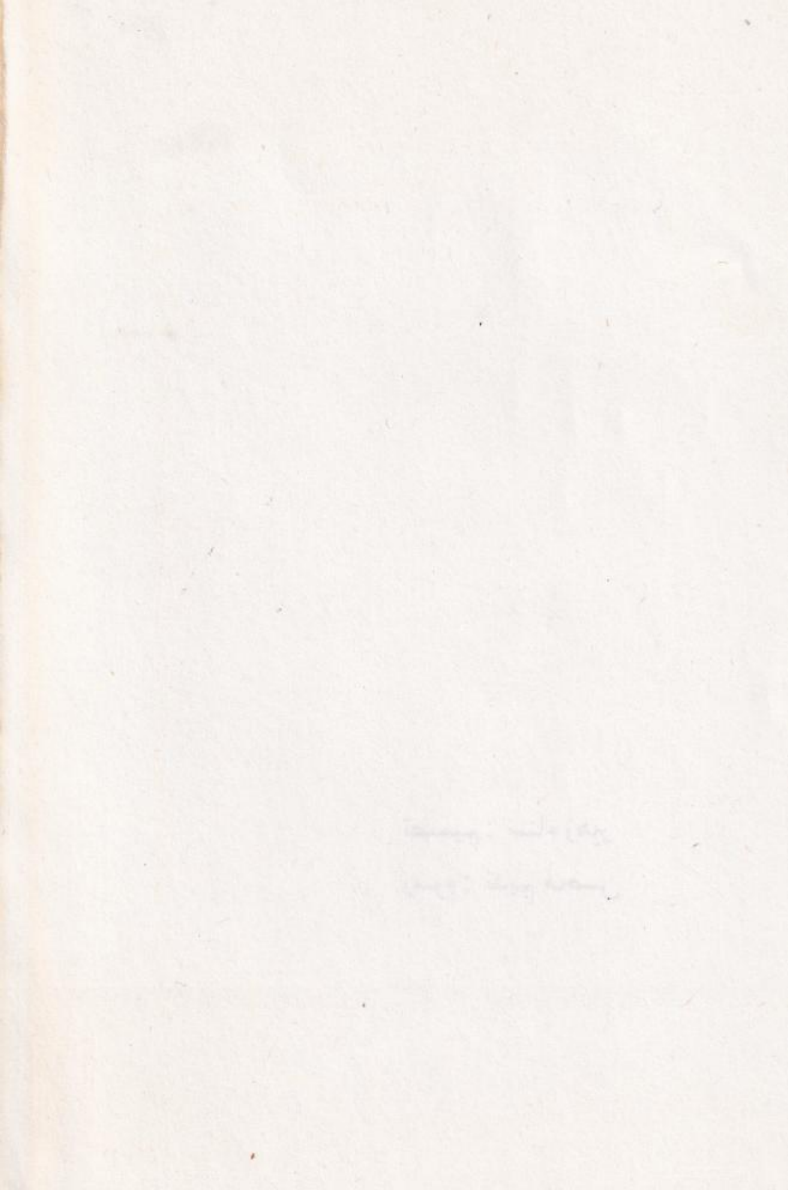
أما إذا كنتم ترغبون في معرفة ماذا حلّ بصوفي ، فأسالوا أمهاتكم كي يقرأن لكم كتاب :

«البنات النموذجيات» ، حيث تجدون صوفي . وإذا كنتم ترغبون في معرفة ماذا حلّ ببول ستعرفونه لدى قراءة كتاب : «العطلة» حيث تعودون فتصادفونه .

لكن يجب أن تنتظروا حتى ينتهي كتاب «العطلة» لأن الكاتبة منصرفة الآن لكتابته .

* أنجزت الكاتبة كتاب «العطلة» سنة ١٨٥٨ .

تصميم : سناء زهير
رسوم : نديم محسن

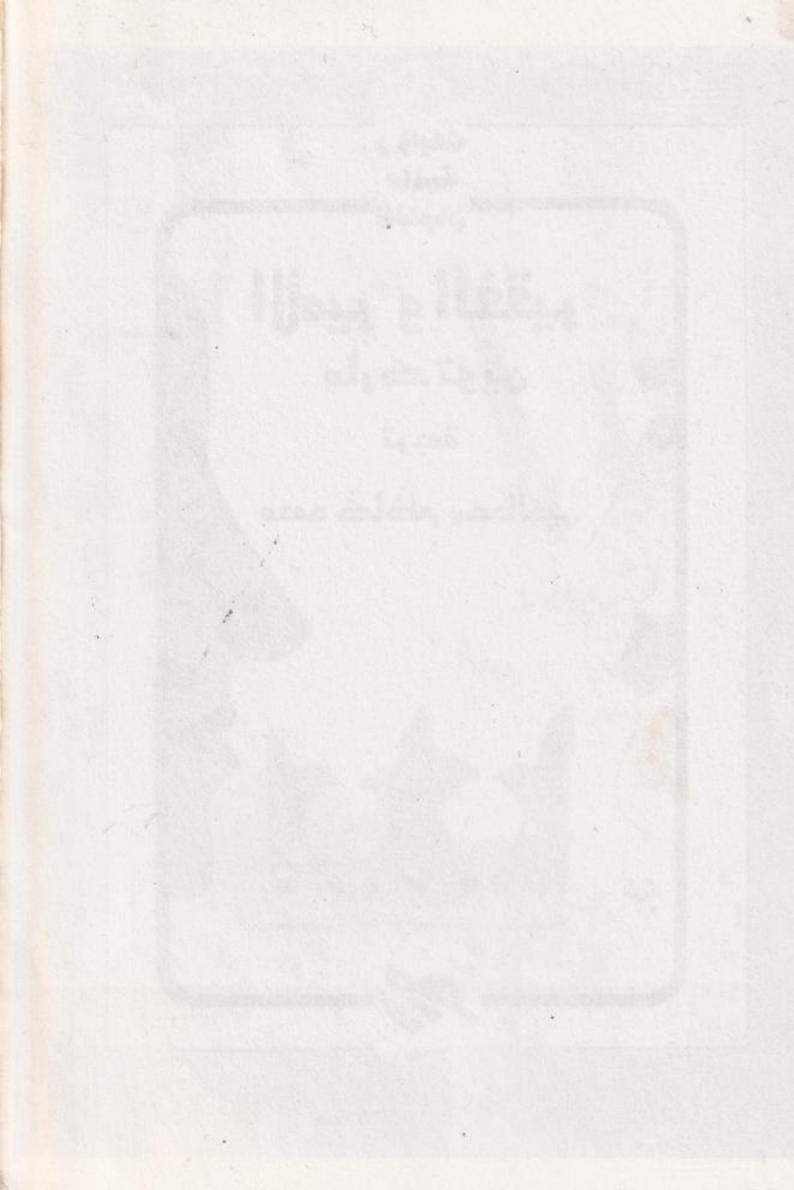




روايات
عالمية
للفتيان
مغامرة فوق الجزيرة
الجزء الأول
ارثر رانسم
ترجمة : خالد عبدالباقي




روايات
عالمية
للفتيان
الأمير والفقير
مارك توين
ترجمة
محمد كاظم سعدالدين



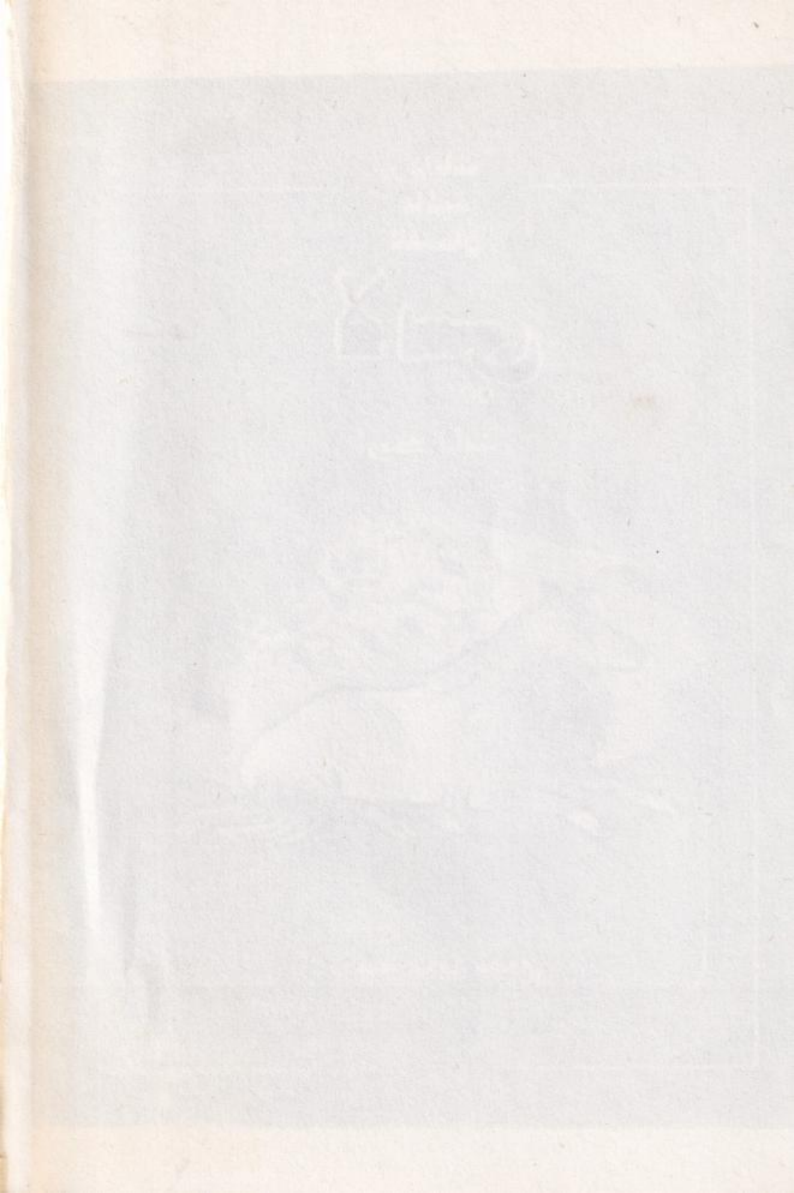
روايات
عالمية
للفتيان

لاسي

اريك نايت



ترجمة: شفيق مهدي



روايات
عالمية
للفتيان

جزيرة الكنز



تأليف: روبرت لويس ستيفنسون

ترجمة: منير عباس مظفر



رقم الايداع في دار الكتب والوثائق (٣٩٦) ببغداد

دار الحرية للطباعة

متاعب صوفي

كانت الصغيرة صوفي دي ريان، وهي في الرابعة من عمرها مخلوقة عفريتة وعنيدة.

قادها طيشها وشراهتها ومعصيتها، وفوران غضبها إلى حوادث مضحكة وطريفة قد تحول بعضها إلى ضرر.

وكل مرة، كانت تتخلص بفضل تدخل أهلها وصداقة أبن خالتها بول الصغير، الذي يحاول إسداء النصائح الحكيمة لها.

وصــوفي، الولد المـزعج، بل ذات القلب الطيب، هل قدرت أن تصطلح؟

دار الحرية للطباعة